

(١٣٤٢ - ١٣٧٧هـ)

حياته وآثاره

إعداد

سعود بن صالح بن محمد السيف

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

الشيخ

حافظ بن أحمد الحكمي

النشرة الأولى ١٤١٥هـ

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص.ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

الشيخ

حافظ بن أحمد الحكمي

(١٣٤٢ - ١٣٧٧هـ)

حياته وآثاره

إعداد

سعود بن صالح بن محمد السيف

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

* قال تعالى:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾.

[المجادلة/ آية ١١]

* * *

* قال عليه الصلاة والسلام:

«لا يـزال الله يغـرسُ فـي هـذا الـديـن غـرسـاً يستعملهـم فـي طاعته».

[رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢٠٠]

* * *

* يقول الشاعر:

الأرضُ تحيـا إذا مـا عـاش عـالِمُهـا
متـىٰ يمـت عـالـمٌ منهـا يمـت طـرَفُ
كـالأرض تحيـا إذا مـا الغيـثُ حـلَّ بهـا
وإن أبـى عـاد فـي أكنـافِهـا التلَـفُ

المقـــدّمَة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذىٰ، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمىٰ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الضالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[1] ، وصلَّى الله وسلم على معلم البشرية إمام المتقين محمد بن عبد الله صلَّى الله وسلم عليه وعلى آله ومن اتبع سنته ودعا إلى هديه إلى يوم الدين. أما بعد:

فلما كان العلماء هم ورثة الأنبياء، وكان حقهم على الأمة كبيراً، وكانت منزلتهم من الدين رفيعة، دعاة خير وصلاح ورشاد وفلاح، فلا أقل من التعريف بهم، وبيان شيء من سيرة حياتهم، لعل ذلك يكون نافعاً لمن بعدهم، للسير علىٰ نهجهم في العلم والتعليم، والدعوة والتوجيه، فمن نعمة الله تعالى أن حفظ دينه برجاله المخلصين، فهم الأمناء علىٰ ميراث النبوة وهم مصابيح الأرض المتَلألِئَة، وأطنابها القوية، وأوتادها المتينة، هم الأعلام الهداة، والأئمة التقاة، أنوار تتجلىٰ بهم غياهب الظلمة،

---

(١) من خطبة الإمام أحمد بن حنبل، ــ رحمه الله ــ ، في كتابه «الرد على الزنادقة والجهمية».

وأقطاب تدور عليهم معارك الأمة، شهداء الله في أرضه، وخلفاء الرسول في أمته، ما عزَّت الأمم ولا شيدت الحضارات ولا قامت الأمجاد إلاَّ بالعلماء، كالنجوم يهتدىٰ بهم، جدير بكل مسلم أن يعرف قدر هؤلاء، ويؤدي حقوقهم، ويسمع منهم، ويقتدي بآثارهم، ويلتف حولهم، ويتأدب معهم، ويعرف فضلهم، ويذكر محاسنهم مع عدم التبجح في ذكر أخطائهم.

فمع علمٍ من هؤلاء الأعلام: ألا وهو الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ـ رحمه الله ـ نعيش صفحات مشرقة ولحظة طيبة، وبحثي هذا هو الأول في بابه الذي يتناول حياة الشيخ حافظ وآثاره في الدعوة، سائلاً المولى عز وجل أن يجعل العمل صالحاً ويجعله لوجهه خالصاً ولا يجعل لأحدٍ فيه شيئاً، لقد آثرت أن أروي عن العدول الثقات، أحسبهم كذلك، وأن آخذ الخبر عنهم مباشرة عن طريق المشافهة، فنوعت صيغة الخبر تجنباً لكثرة التكرار، فإن أحسنت فمن توفيق الله، وإن أسأت وأخطأت فأستغفر الله وأتوب إليه، وأشكر الله عز وجل أولاً وآخراً، ثم الشكر والدعاء لكل من روىٰ لي معلومات عن الشيخ ـ رحمه الله ـ .

فإلىٰ حياته وآثاره خلال خمسة وثلاثين سنة، هي عمره، رحمهُ الله رحمة واسعة، ونفعنا بعلمه، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

سعود بن صالح بن محمد السيف

الزلفي ص. ب ١٣٣

الفصل الأول :
أحـــوال عـصـره

ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الحالـة السياسيـة .

المبحث الثاني : الحالة الدينية والفكرية .

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية والاقتصادية .

أحــوال عـصـره

أثبتت البحوث والدراسات ما هو مشاهد من أن الظروف التي تحيط بـالشخـص أيـاً كـان، والبيئـة التـي يعيـش فيهـا ذات أثـر كبيـر فـي سيـرتـه واتجـاهـه[1] ، وسنـوضـح هـذه الأمـور التـي مـرّ بهـا الشيـخ الحكمـي ــ رحمه الله ــ بإيجاز:

المبحث الأول:

الحـالـة السـيـاسـيـة

عاش الشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ في فترة يسودها الاضطراب وذلك في أواخر حكم الأدارسة في تهامة عسير، إلى أن تم لآل سعود السيطرة على تلك المنطقة وذلك بعد الاتفاقية التي عقدت بين الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ وبين الحسن بن علي الإدريسي[2] في ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ، حيث انتدب أول مندوب سعودي هناك وذلك في عام ١٣٤٦هـ حتى تم للملك عبد العزيز قيادة تلك المنطقة قيادة تامة وذلك منذ وصول

---

(١) محمد خليل هرّاس: في مقدمة كتابه ابن تيميّة. ط ١، ص ١٣.

(٢) بايع له بالإمامة كل رجال القبائل الذين دخلوا معه جازان وتولى الإمامة بعد ابن أخيه الذي تنازل له. انظر: كتاب المخلاف السليماني ٢/٢٨٨ مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

الأمير فيصل بن عبد العزيز في ٢٧/ ١٢/ ١٣٥٢هـ إلى جازان بطريق البر وبرفقته زهاء سبعين سيارة...[1].

فأصبحت المنطقة جزءاً لا يتجزأ من المملكة العربية السعودية، وساد الأمن والاستقرار، وهيئت الظروف في مجالات كثيرة لتوجيه أبناء المنطقة وتعليمهم، ويدل على ذلك إرسال العلماء حين أمر الملك عبد العزيز الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ[2]، أن يبعث لتلك المنطقة بعض العلماء الأفاضل فتم إرسال الشيخ عبد الله القرعاوي[3]، وتتابع الحكم السعودي على تلك المنطقة إلى يومنا هذا.

● ● ●

---

(١) انظر كتاب المخلاف السليماني، محمد العقيلي ٢/ ٣٤٤.

(٢) ستأتي ترجمته عند الحديث عن وفاة الشيخ حافظ بإذن الله.

(٣) ستأتي ترجمته في مبحث مستقل وذلك عند ذكر شيوخه.

المبحث الثاني :

الحـالـة الدينـية والفكريـة

لقد ساد تلك المنطقة وما حولها من المدن معتقدات باطلة، فهي تماثل غيرها من المحدثات المعروفة في أنحاء الجزيرة العربية الأخرى، حيث كان الغلو في الدين والعكوف على قبور الأولياء والصالحين، والاعتقاد الباطل في الأحجار والأشجار، والاستعانة بالسحرة والمشعوذين، والتحاكم إلى الدّجالين وضعفاء العقائد، حتى عام ١٣٥١هـ حيث قدم إليها الشيخ صالح المطوّع ــ رحمه الله ــ[١] ، فسعى في إرشاد الناس وتعليمهم، ثم وفد الشيخ عبد الله القرعاوي ــ رحمه الله ــ[٢] ، في عام ١٣٥٨هـ ففتح فيها المدارس، وأزال تلك المنكرات الباطلة، والبدع المضللة ودعا إلى الله حتى عمَّت مدارسه أرجاء منطقة الجنوب، فرجع الناس إلى الصواب في عبادتهم وتفكيرهم.

والإنسان مهما يكُنْ فيه من انحراف فإن بقايا فطرته موجودة، فهو يحب الصدق ويكره الكذب. . . فهذا المجتمع يعيش المبادىء الحسنة كصدق المعاملة، والأمانة والتعاطف الاجتماعي في داخل القبيلة، ولكنْ هناك جهل، إذ تكاد المنطقة تخلو من أي مركز للتعليم اللهم إلاَّ بعض

(١) من علماء أهل عنيزة.

(٢) ستأتي ترجمته ــ بإذن الله ــ في الحديث عن مشائخ الحكمي.

الكتاتيب البدائية التي تكون في المدن، وإلاَّ بعض الحلقات الصغيرة التي بقيت أثراً من آثار المشايخ السابقين[1] ، حتى جاء القرعاوي فاتضح النور والاعتقاد الصحيح لعامة الناس.

● ● ●

---

(١) انظر كتاب: علماء ومفكرون عرفتهم: محمد المجذوب. ط ١، ص ١٠٠.

المبحث الثالث:

الحالة الاجتماعية والاقتصادية

نشأ الشيخ في بيئة صغيرة متماسكة محافظة، في منطقة يعمل أغلب سكانها في الزراعة والرعي. . . حيث إن تلك المنطقة كانت تشتهر بزراعة الحبوب والذرة والدخن والشعير والقهوة حتى أطلق عليها الخبراء الزراعيون سلة خبز المملكة السعودية(١) ، لخصوبة المنطقة وهطول الأمطار فيها، فالدخل المعتمد هو ما يحصل عليه الإنسان من الزراعة وتربية المواشي التي هي أكبر ثروة لديهم، فكانت حياته ـ رحمه الله ـ إبان نشأته حياة طبيعية بعيدة عن التّكلف، من خلال ما يقوم به مع والده وأخيه من تربية الأغنام والزراعة التي كانت هذه أهم ثروة لديه مع والده جرياً على عادة المجتمع في ذلك الوقت(٢) ، في بيئة فيها من شظف العيش ولفح الحر الشيء الكثير، ويتربى سكانها على الخشونة والاعتماد على النفس بعد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وذلك في سن مبكرة. فهذه دعوة لجيل اليوم بأن لا يكون الواحد منهم اتكالياً فيملأ وقته ويشغل فراغه فيما يعود عليه بالنفع والفائدة.

---

(١) انظر كتاب: تاريخ المخلاف السليماني: محمد العقيلي. القسم الأول، ص ٤٢، مطابع الرياض.

(٢) حدثني بذلك أخوه الشيخ محمد بن أحمد الحكمي. وستأتي ترجمة الشيخ محمد عند الحديث عن مشايخه، ص ٢٨.



الفصل الثاني :

حيـاتـه وعـلـمـه

ويتكون من عشرة مباحث:

المبحـث الأول : نسبه وقبيلته.

المبحـث الثاني : مولده ونشأته.

المبحث الثالث : طلبه العلم.

المبحث الرابع : شيـوخـه.

المبحث الخامس : أسباب نبوغه ونجاحه.

المبحث السادس : صفاته الخَلقية والخُلقية.

المبحث السابـع : أعـمـالـه.

المبحث الثـامن : أدبـه.

المبحث التاسـع : ثناء المعاصرين عليه.

المبحث العـاشر : وفـاتـه.

الباب الثاني

[illegible]

[illegible]

[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]

المبحث الأول:

نسبه وقبيلته

هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي الحكمي، نسبة إلى الحكم بن سعد، العشيرة بطن من «مذحج» من «كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان» علم من أعلام منطقة الجنوب الذين عاشوا حياتهم في الشطر الأول من النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري[١] .

والحكامية ـ النسبة إليهم حكمي ـ بطن يسكن المضيق من نخلة الشامية، يقال إن أصله من حكامية جازان، وإن حلفه في هذيل، وقيل في المطارفة خاصة[٢] . وهذه الأسرة من بيوت العلم والفضل[٣] . والنسبة إلى قبيلة الحكم بن سعد العشيرة الحكمي، وقد تفرعت عن هذه القبيلة أسر كثيرة اشتهرت بالفقه والأدب والشعر والوعظ من هؤلاء الشيخ صديق بن علي بن أبي بكر الحكمي المتوفى سنة ٨٧٦هـ، فهو الذي أسس الجامع بأبي عريش، واشتهر بالفقه.

---

(١) معارج القبول، ط ٣، ج ١، نبذة عن مؤلف الكتاب بقلم ابنه د. أحمد.

(٢) معجم قبائل الحجاز: عاتق البلادي. ج ١، ٣، ص ١٠٨، دار مكة.

(٣) انظر المخلاف السليماني: محمد العقيلي، ج ٢، ص ١٩٠، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

والشيخ الهادي بن أبـي القاسم بن علي الحكمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ رجل جمع بين العلم والعمل ومجلسه معمور بالعلماء والأدباء والشعراء.

والشيخ جمال الدين المقبول بن صديق الحكمي المتوفى سنة ٩٤٨هـ عالم بالفقه والعربية.

والشيخ أبو القاسم بن علي بن صديق الحكمي المتوفى سنة ١٠٣٩هـ جمع بين الفقه والأدب.

والشيخ العلامة أبو القاسم بن مهدي الحكمي المتوفى سنة ١٠٦٦هـ أديب واسع الاطلاع(١).

• • •

(١) انظر معارج القبول، ط ٣، ص (ن)، ومجلة العرب، ج ٩ و ١٠ سنة ١٣٩٥هـ ص ٧٨٥ ــ ٧٩٠.

المبحث الثاني:
مولده ونشأته

وُلد الشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٤٢هـ بقرية «السلام»[١] التابعة لمدينة «المضايا»[٢] الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة جازان، حيث تقيم قبيلته التي إليها ينتسب[٣].

«ثم انتقل مع والده أحمد إلى قرية «الجاضع» التابعة لمدينة سامطة[٤] في المنطقة نفسها، وهو ما يزال صغيراً لأن أكثر مصالح والده

---

(١) «السلام»: غابة من أشجار السلم في جهة الطمحة على طريق جازان ــ صبياً، الطريق القديمة ــ وبه قرية باسمه ــ غابة شرق المضايا ــ.
انظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: محمد العقيلي، ص ٢٢١، ط ٢ وقد مر.

(٢) «المضايا»: بفتح الميم والضاد المعجمة بعدها ــ قاعدة بلاد الحكامية تبعد عن جازان بالطريق السابق ٢٣ كيلاً.
انظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: محمد العقيلي، ص ٣٩١ ط ٢.

(٣) انظر مجلة اليمامة، عدد ٢٤١، سنة ١٣٩٣هـ بقلم: «د. أحمد الحكمي».

(٤) هي الموطن الرئيس الذي اتخذه له حيث تعلم فيها فيما بعد، وتبعد عن مدينة «جازان» ٧٠ كيلومتر.

ـ من أراضي زراعية ومواشي ونحوها ـ كانت هناك، وإن بقيت أسرته الصغيرة تتنقل بين قريتي السلام والجاضع لظروفها المعيشية»[(١)] .

«ونشأ في كنف والديه نشأة صالحة طيبة، تربى فيها على العفاف والطهارة وحسن الخلق»[(٢)] ، كما هو شأن من يوفقهم الله لقيادة الناس وتوجيههم الوجهة السليمة، الذين يعلّمون الناس الخير ويدلونهم عليه «وكان قبل بلوغه ـ رحمه الله ـ يقوم برعي غنم والديه التي كانت أهم ثروة لديهم في ذلك الوقت كما هي عادة المجتمع آنذاك»[(٣)] .

وشب كما يشب أبناء القرى بعيداً عن البيئات العلمية في أبسط مظاهرها.

فلقد ختم كتاب ربه وحفظ الكثير منه، مع العلم بأن عمره لم يتجاوز الثانية عشرة بعد[(٤)] ، وذلك يدل على سرعة حفظه وقوة ذكائه ـ رحمه الله ـ كما ذكرنا آنفاً.

وفي سنة ١٣٥٨هـ قدم من نجد الشيخ الداعية عبد الله بن محمد القرعاوي[(٥)] إلى منطقة تهامة جنوب المملكة العربية السعودية بعد أن سمع عما كان فيها من الجهل والبدع والانحرافات، شأن كل بلد وجهة يقل فيها المصلحون والموجهون إلى الخير والهدى، فنذر نفسه مخلصاً لله على أن يقوم بهذه المهمة العظيمة التي هي وظيفة أفضل البشر ﷺ وذلك بالدعوة

---

(١) معارج القبول، ط ٣، ج ١، ص (ن)، نبذة عن حياة المؤلف بقلم ابنه د. أحمد.
(٢) معارج القبول ص (س).
(٣) المرجع السابق.
(٤) معارج القبول، ط ٣، ج ١، ص (س)، ومجلة اليمامة، عدد ٢٤١، ص ٢٨ بقلم ابنه د. أحمد.
(٥) سيأتي التعريف به في مبحث عن وفاة الشيخ حافظ رحمه الله ـ إن شاء الله ـ .

إلى الدين الصحيح، وتوجيه الناس إلى العبودية لله وحده واعتقادها في النفوس، وإلى توجيه المجتمع وإبعاده عن هذه الانحرافات والاعتقادات الفاسدة[1] .

وفي سنة ١٣٥٩هـ قدم الشيخ محمد بن أحمد الحكمي برسالة من أخيه حافظ ــ رحمه الله ــ ، يطلبان فيها من الشيخ القرعاوي التوجه إليهما في قرية «الجاضع» لتعذر مجيئهما إليه، لقيامهما بشؤون والديهما، ولحرصهما على الاستفادة والإفادة[2] ، وما أن وصلت هذه الرسالة إلى الشيخ عبد الله القرعاوي حتى أخذ يقرأها.

فاستغرب ودهش من جودة الخط، ودقة الأسلوب، فعرض ذلك على تلامذته وقال: انظروا إلى هذا الخط، فسأل عن صاحبه فأخبره الشيخ محمد الحكمي عنه بأن اسمه حافظ الحكمي، وأنه شاب يقوم برعي الغنم، فاستبشر الشيخ عبد الله القرعاوي[3] ولبى طلبهما وذهب إلى قريتهما ــ وهناك التقى بحافظ وتبيَّن له الأمر ــ ورأى عليه علامة النجابة والذكاء الخارق للعادة.

يروي الشيخ محمد المجذوب رواية تدل على حرص الشيخ القرعاوي على اجتذاب واستقطاب أصحاب العقول السليمة والذكاء الخارق، وأصحاب الأفهام العالية، لخدمة الدعوة الإسلامية، لإيمانه بما لهم من تأثير كبير في أوساط الناس وتوجيههم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم «مرّ[4] ببعض الرعاة فتحول من دابته ليتحدث إليهم ولاحت منه

(١) مجلة المنهل عدد ٥، ج ٨/ ٨٩، ومعارج القبول، ط ٣، ج ١، ص (س ــ ع).
(٢) المرجع السابق.
(٣) استفدت ذلك من مقابلة تمت مع الشيخ محمد الحكمي حفظه الله.
(٤) الشيخ عبد الله القرعاوي.

التفاتة إلى كومة من العشب فإذا عليها مصحف وسأل عن صاحبه فإذا هو غلام صغير أسمه حافظ الحكمي ولما أحضروه له وسمع كلامه لم يتمالك أن يفاتحه برغبته في أخذه إلى صامطة لإنشائه على العلم، وسرّ الغلام جداً بهذه الرغبة، ولكنه أعلن عجزه عن تحقيقها لأنه مضطر للبقاء مع أمه التي ليس لها سواه، ولكن الشيخ لم يدعه حتى أقنعه بموافقة أمه، التي ما زال بها حتى رضيت لولدها ذلك الطريق النيِّر.

ولم تخب فراسة الشيخ في ذلك الراعي، فإذا هو في مقدمة رفاقه، اجتهاداً، وفهماً، وصلاحاً، وقد مكنه ذكاؤه الحاد أن يحقق من التقدم في الزمن القصير ما لا يتاح إلاَّ للقليلين من الموهوبين في الزمن الطويل. . . »[١] .

ولقد سَعِدَ حافظ ــ رحمه الله ــ سعادة عظيمة بهذا الجو الإيماني، حيث كان يستغل كل فرصة تمر عليه وذلك مدّة بقاء الشيخ عنده في قرية «الجاضع» التي كان يسكنها فكان يقرأ على الشيخ من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الضحى ثم يغدو بغنمه يرعاها، فإذا توسطت الشمس كبد السماء رجع إلى القرية، واستأنف الدراسة حتى صلاة العصر، فإذا صلَّى العصر ذهب بغنمه مرة أخرى يرعاها، فإذا أذنت بالمغيب روّح بغنمه إلى القرية ثم استأنف الدراسة إلى صلاة العشاء وهكذا دواليك»[٢] .

لقد كان أصغر الطلاب سناً لكنه أرجحهم عقلاً وأسرعهم حفظاً واستيعاباً لما يلقي الشيخ من معلومات.

يقول عنه شيخه القرعاوي في رسالة كتبها بخطه[٣] :

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم: محمد المجذوب، ط ١، ص ١٠٨.
(٢) مجلة المنهل، ج ١، المجلد ١٩، ص ٤٨، بقلم الأستاذ محمد السنوسي.
(٣) الرسالة موجودة عند الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي.

«وهكذا جلست عدة أيام في «الجاضع»، وحافظ يأخذ الدروس وإن فاته شيء نقله من زملائه، فهو على اسمه «حافظ» يحفظ بقلمه وخطه، والطلبة الكبار كانوا يراجعونه في كل ما يشكل عليهم في المعنى والكتابة لأني كنت أملي عليهم إملاء ثم أشرحه لهم»[1] .

ويقول الأستاذ محمد السنوسي: حدثني الشيخ القرعاوي قال: «يا بني لقد كنت أعلّم حافظاً وإخوانه، وألقي عليهم الدرس جميعاً، فكان حافظ يحفظ الدرس من مرة واحدة أما إخوانه فكنت أكرر عليهم المرة الثانية والثالثة ــ أما هو فكنت إذا أردت أن أكرر عليه الدرس قال: يكفيني يا شيخ مرة واحدة، ثم يأتيني من بعد غد، وقد حفظ درس الأمس ما يخرم منه حرفاً ولا يتلجلج في لفظ، حتى شعر إخوانه بالخجل منه، فعادوا يقولون لا تكرر علينا الدرس يا شيخ يكفي إذا سمعه حافظ أن يعلمنا إياه[2] .

وبعد هذه المدة[3] التي قضاها الشيخ القرعاوي في قرية «الجاضع» تهيأ للعودة إلى مدينة «سامطة» التي هي أول مقر له وأول مركز للدعوة والإرشاد، طلب من والديّ حافظ أن يبعثاه معه ليطلب العلم ولينهل من مناهل الشريعة الغراء على يديه في «سامطة» ويجعل لهم من يرعى غنمهم بدلاً عنه، ولكنهما لم يسمحا بذلك بل رفضا طلب القرعاوي في أول الأمر ليبقى ابنهما في خدمتهما حيث إنهما بحاجة كبيرة إليه، فقالا له: «ابننا وغنمنا يا شيخ» ولكن الشيخ ــ رحمه الله ــ لم ييأس بل أخذ يغدو ويروح

---

(١) معارج القبول، ج ١، ط ٣، ص (ع).

(٢) مجلة المنهل، ج ١، المجلد ١٩، ص ٤٨.

(٣) تزيد عن خمسة أشهر، انظر مجلة المنهل، مجلد ٨، ص ١٩٠، ١٩١. سنة ١٣٦٧هـ.

بين سامطة والجاضع ليغرس هذا الزرع، حتى استوثق من نجاح حافظ ـ رحمه الله تعالى ـ .

وأخيراً توفيت والدته في شهر رجب سنة ١٣٦٠هـ. فكان والده يأذن له بالذهاب إلى سامطة لمواصلة الدراسة لمدة يومين أو ثلاثة في الأسبوع ثم يعود إليه فكان ـ رحمه الله ـ يذهب إلى الشيخ في سامطة فيملي عليه الدروس، ثم يرجع إلى قريته الجاضع[1] ، كما هي عادة السلف الصالح في الغدو والرواح لطلب العلم، لإيمانه بعظم الثواب والمنزلة لطالب العلم.

ثم لحق أبوه بأمه إلى جوار الله تعالى وهو عائد من الحج سنة ١٣٦٠هـ ـ عند ذلك تفرّغ حافظ لطلب العلم تفرّغاً مطلقاً وجدّ في الدراسة والتحصيل ـ فذهب إلى شيخه ولازمه ملازمة دائمة يقرأ عليه، ويأخذه منه، ولم يلتفت إلى شيء من الشؤون الأخرى، حتى صار يطلق عليه الحافظ فشهر بذلك، وأصبح علماً يشار إليه بالبنان[2] ـ هكذا تربى وتعلم على شيخه فاستفاد وأجاد في الشعر والنثر ـ وحفظ كثيراً من ذخائر الأدب العربي وأنواع العلوم، وألف مؤلفات عديدة في كثير من العلوم والفنون المختلفة، يقول عنه شيخه القرعاوي: «لم يكن له نظير بالتحصيل والتأليف والتعليم وحسن الإدارة فقد برز في ذلك خلال وقت قصير وكان زملاؤه الذين كانوا أكبر منه يراجعونه فيما يشكل عليهم فيوضح لهم الغامض، ويبين لهم ما لم يفهموه[3] .

ومكث الشيخ حافظ يطلب العلم على يد شيخه ويستفيد منه. وفي

---

(١) معارج القبول، ط ٣، ج ١، ص (ع ـ ف).

(٢) تاريخ المخلاف السليماني: محمد العقيلي، ج ٢، ط ٢، ص ١١٩٩.

(٣) مجلة اليمامة، عدد ٢٤١، سنة ١٣٩٣هـ، ص ٢٨.

سنة ١٣٦٢هـ أشار عليه شيخه أن ينشىء نظماً في التوحيد[١] على موجب ما قرأه من الكتب القيّمة ككتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما الله ـ وغيرهما، وذلك من مصادرها الدينية واللغوية والتاريخية فيستوعبها ويفهمها فهماً واضحاً لا غموض فيه، فصنف منظومته (سلم الوصول إلى علم الأصول ـ في التوحيد) فلاقت استحسان شيخه والعلماء المعاصرين له[٢].

ونستدل لذلك أيضاً على سرعة حفظه وفهمه لما قرأ وتعلم إذ كانت عنده القدرة والملكة العلمية القوية في هذا المجال.

يقول في هذه المنظومة:

أبدأ باسم الله مستعينا ... راضٍ به مدبراً معينا
والحمد لله كما هدانا ... إلى سبيل الحق واجتبانا
أحمده سبحانه وأشكره ... ومن مساوي عملي أستغفره

وسيأتي الحديث عن ذلك ومنهجه فيه في ذكر آثاره العلمية إن شاء الله تعالى.

ثم تابع تأليف هذه الكتب العلمية بعد ذلك، فألف في التوحيد، والسيرة النبوية، والفقه وأصوله، ومصطلح الحديث، والفرائض، والوصايا والآداب والنصائح، نظماً ونثراً وقد أُعْجِبَ بها العلماء المعاصرون له أمثال الشيخ محمد بن إبراهيم[٣] ـ رحمه الله ـ مفتي الديار السعودية آنذاك

(١) مجلة المنهل، مجلد ٨، عدد ٥، ص ١٩٣ في مقابلة مع الشيخ عبد الله القرعاوي.
(٢) معارج القبول، ج ١، ط ٣، ص (ف)، بقلم ابنه أحمد.
(٣) ستأتي ترجمته عند الحديث عن وفاة الشيخ حافظ.

وأشار بطبعها وقد طبع أغلبها على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ فكان طابع هذه المؤلفات الطابع السلفي الأصيل الذي لا غموض فيه ولا إفراط ولا تفريط.

لقد كانت حياته كلها جد في تحصيل العلم ودراسته وتدريسه، حيث إنه لم يتجه إلى شيء غير العلم.

يقول عنه بعض تلامذته[1] :

«لقد كان مقبلاً على القراءة والمذاكرة إقبالاً شديداً لا يلتفت إلى الدنيا بأي حال[2] ، طموحاً إلى العلا وطلب العلم حريصاً لا يكاد الواصفون يصفون شدة حرصه وإقباله عليه ومما يؤكد ذلك ما نرى من كثرة إنتاجه العلمي رغم صغر سنه ــ رحمه الله ــ .

• • •

(١) منهم الشيخ جابر بن ناصر مدخلي، والشيخ محمد بن أحمد الحكمي، والشيخ محمد يحيى الحكمي والشيخ محمد شريف هاشم والشيخ أحمد يحيى النجمي.

(٢) شاهد ذلك: أنه لما زار الملك سعود ــ رحمه الله ــ جازان أعجب مما كان عليه من الحرص وغزارة الإنتاج والإخلاص، أمر له بمبلغ من المال بخطه فأخذ الشيخ حافظ الورقة ووضعها معه، ولم يلتفت إليها فعثر عليها بعد وفاته وذلك عند شيخه، فوجد فيها أمراً بصرف مبلغ من المال له. أخبرني بذلك الشيخ محمد شريف هاشم.

المبحث الثالث :

طَلَبه العِلم

كان الشيخ ــ رحمه الله ــ يتطلع إلى حياة أعلى وأسمى من حياته التي هو فيها لينهل من مناهل العلم وليغذي فكره الناضج مع صغر سنه، بخلاف غيره ومن هم في سنه وأعلى منه لأن تلك العقلية توجهت إلى ما هو أسمى من هذه الحياة.

فلما بلغ ــ رحمه الله ــ من العمر السادسة بدأ أخوه الشيخ محمد يدرّسه القرآن فقرأ عليه ــ سورة الفاتحة وبعض قصار السور ــ فحفظ وأتقن، وعن سرعة حفظه وإتقانه قال لي الشيخ محمد[1] : «أنه والله لأعجوبة من الأعاجيب ما شعرت حتى نبغ وجوّد وأتقن، لم يمكث إلاَّ مدة يسيرة حتى أخذ يقرأ بنفسه ومع ذلك تعلم الكتابة بنفسه ــ ففي اليوم الواحد يكتب في اللوح أكثر من ست مرات ينقل من مصحف كان عنده وبتوفيق من الله كان هذا المصحف مكتوب بخط ممتاز ــ فأولع في الكتابة والقراءة حتى تعلم وأتقن الخط والكتابة بمفرده». ففاق أستاذه الأول الشيخ محمد وفاق أقرانه وزملاءه وهو لا يزال في هذا السن، لما يحمله من الذاكرة والعقلية النابغة فأكمل حفظ القرآن حفظاً تاماً، ثم اشتغل بقراءة بعض

---

(١) سيأتي التعريف به في مبحث مشايخه.

الكتب كالتفسير والتوحيد والحديث والسيرة والفقه وغيرها من الكتب مطالعة وحفظاً، زيادة على ما كان يقوم به من الأعمال التي يكلفه والده بها من رعي للغنم والزراعة، فكان يستغل ذهابه بهذه الأغنام بالمطالعة والقراءة لهذه الكتب الثمينة[1] ، التي قل من يقرأها في هذه السن في تلك البيئة التي كانت عامرة بالجهل والانحرافات والشبهات المضللة، وكان يصطحب معه في ذهابه للأغنام إناءه للوضوء فمتى حان وقت الصلاة دعا من معه لأدائها[2] .

• • •

(١) أخبرني بذلك الشيخ محمد بن أحمد الحكمي.

(٢) استفدت ذلك من الشيخ يحيى دوم ـ عضو في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سابقاً. وممن أخذ عنه واستفاد.

المبحث الرابع:
شـــيـــوخـــه

لم يتتلمذ إلاَّ على عدد قليل من المشائخ منهم:

١ ــ الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي:

هو عبد الله بن محمد بن حمد بن محمد القرعاوي النجدي من منطقة القصيم في نجد، له نشاط كبير في الدعوة إلى الله ونشر العقيدة الصحيحة، ولا سيما في منطقة الجنوب حيث أثمرت هذه الدعوة ونجحت.

ولد ــ رحمه الله ــ في شهر ذي الحجة سنة ١٣١٥هـ في مدينة عنيزة، وقد توفي والده قبل ولادته بشهرين، نشأ يتيماً في كنف أمه، تربى فيها على تعلم المبادىء الفاضلة والعفاف والطهارة وحفظ القرآن، وبعد ما شبّ سافر أحد أعمامه إلى الشام بقصد التجارة فسافر معه سنة ١٣٢٨هـ، ثم غادر بمفرده في سنة ١٣٣٠هـ. وكانت أغلب تجارته من الإبل وظل حتى سنة ١٣٤٤هـ حينما أحس الشيخ ــ رحمه الله ــ برغبةٍ ملحة في طلب العلم، فترك التجارة وبدأ حياة أخرى جديدة وهي طلب العلم.

* **رحلاته في طلب العلم، وشيوخه:**

كانت أول رحلاته إلى الهند سنة ١٣٤٤هـ حيث درس في مدرسة

«الرحمانية» بدلهي، وجلس فيها إلى أهل الحديث والمشتغلين به من العلماء يأخذ عنهم، ويدرس عليهم قرابة عشرة أشهر، ثم جاءته رسالة من والدته تطلب حضوره إليها تخبره بأنها مريضة، فعاد إلى عنيزة، ولكنه لم يصل إلاَّ بعد وفاة أمه بأيام، وقد كان لوفاتها ألم في نفسه إذ كانت هي الأم والأب له.

فصار يتنقل بين مدن المملكة يطلب العلم، فمن بريدة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض والإحساء وقطر بل تعدى ذلك إلى خارج الجزيرة العربية، فذهب إلى العراق ومصر والشام.

وكان من شيوخه:

الشيخ عبد الله بن مانع في عنيزة، والشيخ عبد الله بن سليم والشيخ عمر بن سليم في بريدة، والشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع في قطر، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في الرياض، والشيخ عبد العزيز بن بشر في الأحساء، والشيخ عبد الله العنقري في المجمعة وغيرهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكان آخر المطاف في مرحلة طلبه العلم أن عاد إلى الهند لإكمال دراسته التي بدأها في أول مرحلة من مراحل دراسته سابقاً، فحاز على إجازة من شيخه في مدرسة (الرحمانية) بدلهي، المحدث الشيخ أحمد الله بن أمير القرشي الدهلوي بالرواية عنه في الحديث ثم عاد إلى نجد سنة ١٣٥٧هـ، فرحل إلى منطقة الجنوب بعد أن سمع عما فيها من الجهل والبدع وذلك بعد أن استشار الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فأشار عليه واستحسن رأيه، وأوصاه، ودعا له، ثم ودعه، وكانت هذه الرحلة سنة ١٣٥٨هـ.

*** قيامه بالدعوة والإصلاح:**

وصل الشيخ إلى منطقة الجنوب فاستوطن بسامطة وجعلها مركزاً

لدعوته، فبدأ يدعو الناس إلى تقوى الله وإلى التمسك بمذهب السلف الصالح ــ بالحكمة والموعظة الحسنة ــ وكان يجمع حوله الطلبة فاجتمع إليه عدد كبير من الراغبين في العلم، فجلس يُقْرِئهم القرآن والتفسير والتجويد والتوحيد والحديث والفقه والفرائض وبعض علوم اللغة العربية، واتجه إلى القرى المجاورة لمدينة (سامطة) وفتح بها الكثير من المدارس، وعين طلبته الأوائل مدرسين بها، أمثال الشيخ حافظ الحكمي ــ رحمه الله ــ حيث يقول عنه: «إنه أحد تلامذتي لكنه فاقني في العلم شأواً بعيداً»[1]، وكان يحضر للمدارس جميع ما يلزم الطلبة من كتب ودفاتر وغيرها على نفقته الخاصة، وأيضاً يخرج إلى القبائل بنفسه في بعض الأيام، حتى أقبل الناس على طلب العلم على يديه، وامتدت مدارس الشيخ من منطقة تهامة إلى منطقة عسير، فقد فتحت فيهما المدارس الكثيرة، وعين الشيخ من كبار طلبته مدرسين بها[2].

وكان الشيخ ــ رحمه الله ــ يشرف بنفسه على هذه المدارس متابعاً سير أعمالها بجد ونشاط، مع ما يقوم به من بناء المساجد، وحفر الآبار للمسلمين، وتعيين الأئمة والمؤذنين والدعاة والمرشدين في كل مسجد وقرية.

*** آثار دعوته ــ رحمه الله ــ :**

كانت دعوته تهدف إلى إصلاح العقيدة في النفوس وزرع الإسلام الحق في نفوس الشباب المسلم، وإرشاده إلى الطريق الصحيح فكان المجتمع قبل ذلك في جهل وخرافات فكوّن الشيخ ــ رحمه الله ــ طلبة

---

(١) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد: محمد القاضي، ط ٢، ص ٤٣ ــ ٤٤.

(٢) انظر مجلة المنهل، مجلد ٨، عدد ٥، شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ، ص ١٨٧، ومجلة العرب، ج ٧ و ٨ محرم وصفر ١٣٩٤هـ، ص ٥٢٣.

أقوياء في عقيدتهم يوجهون الناس ويدعونهم إلى الله فتكللت جهوده بالنجاح وأصبح كثير منهم يؤدون الفرائض في أوقاتها ويفهمون ما تؤدي إليه من نتائج إيجابية في حياة الفرد والمجتمع.

*** في الناحية الاجتماعية:**

أشاعت دعوته ـ رحمه الله ـ بين أبناء المجتمع روح المحبة والأخوة حتى قرّبت الصِّلات بينهم، وسادت الروح العالية الطيبة، وأصبح الجميع إخواناً متحابين في الله(١).

*** أمّا من الناحية الثقافية:**

فقد فتحت دعوة الشيخ ـ رحمه الله ـ أذهان طلبة العلم حيث استزادوا من مصادر دراساتهم الأولى التي وضعها أئمة السلف وصنّفوها فطالعوا أمهات الكتب كالفقه وأصوله، والعقائد والتفسير، وأمهات الحديث والسيرة، واللغة العربية وغيرها، ومن أجل ذلك برع منهم أناس كثيرون كأمثال الشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ.

*** صفاته:**

كان ـ رحمه الله ـ على جانب كبير من الأخلاق، والعفّة والكرم والتواضع، يرعى مصالح الناس وينفق عليهمْ بسخاء من ماله الخاص، وفي آخر حياته أصيب بمرض ألم به نقل على أثره إلى مدينة الرياض وأدخل المستشفى المركزي، وفي يوم الثلاثاء الثامن من شهر جمادى الأولى من سنة ١٣٨٩هـ توفي ـ رحمه الله ـ عن عمر يناهز «٧٣» سنة قضاها في خدمة العلم وطلبه ونشره بين الناس، ويعدّ ـ رحمه الله ـ إماماً من أئمة الدعوة الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري لا سيما في منطقتي «تهامة

---

(١) انظر مجلة المنهل، مجلد ٨، عدد ٥، سنة ١٣٦٧هـ، ص ١٨٨ ـ ١٩٥.

وعسير» حيث كانتا مهد دعوته ــ رحمه الله ــ وأسكنه فسيح جناته[1] .

ولقد قيل فيه رثاءٌ حار من ذلك ما قاله الشيخ علي بن قاسم الفيفاوي[2] ، قال:

أمات الذي بث في قطرنا — من العلم والرشد ما يجهلون
وقد كان للجهل في قومنا — مذاهب شتى بها يهتفون
فكم من ضلال وكم من بدعة — أمات بنور الهدى المستبين
مناقبه جمة دونها — يكل يراع، يغيض المعين

* * *

٢ ــ محمد بن أحمد الحكمي:

تربى على يدي والديه تربية إسلامية وكانت ولادته في عام ١٣٣٥هـ وتعلم على يد كل من الفقيه محمد اليمني، وعبد الله بن نافع، وكان عنده حافز في طلب العلم، فتعلم في التفسير والحديث والفرائض مع حفظه للقرآن، والفقه وأصوله، والنحو.

---

(١) انظر مجلة العرب، ج ٧ ــ ٨، السنة ٨، ١٣٩٤هـ، شهر محرم وصفر بقلم د. أحمد الحكمي، وكتاب علماء نجد خلال ستة قرون، ط ١ من ص ٦٣٠ ــ ٦٣٣، وكتاب علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب ط ١، من ص ٩٧ ــ ١١٠.
وكتاب روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد، ط ٢، من ص ٤١ ــ ٤٦.
ورسالة دكتوراه د. عبد الله بن محمد أبو داهش، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأدب والفكر بجنوبي الجزيرة العربية ص ٤٥٣ ــ ٤٥٤.

(٢) مجلة المنهل، عدد ٨، السنة ٣٥، مجلد ٣٠ شهر شعبان ١٣٨٩هـ، ص ١١٤٨ بعنوان دمعة على فقيد الإسلام والمسلمين الداعية المصلح مؤسس مدارس الجنوب الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي.

وكان يتنقل من مكان إلى آخر، وفتح مدارس في بعض هذه الأماكن[1] ، وله جهود طيبة في إزالة بعض المنكرات من ذلك تغييره لِقُبَّةٍ وضعت على قبر في أحد المساجد بأبي عريش، وتعليم أمور العقيدة وإيضاحها.

وتولى رئاسة هيئة بيش مع إمامة وخطابة المسجد الجامع، وتولى التدريس في المدرسة وإقامة الحلقات في المسجد، ثم بعد ذلك عيّن مدرساً في معهد «سامطة» في ١/١/١٣٧٥هـ. ثم بعد ذلك عيّن مديراً للمعهد في أوائل عام ١٣٧٨هـ. إلى أن أحيل إلى التقاعد وذلك عام ١٤٠١هـ. مع ما يقوم به من الدعوة والإرشاد وإلقاء المحاضرات الإسلامية[2] ، وهو من خيرة علماء المنطقة الجنوبية نحسبه كذلك والله حسيبه.

* * *

٣ ــ عبد الرزاق حمزة[3] :

كان يعقد حلقات في التفسير والحديث وذلك داخل الحرم المكي، وعلّامة في الحديث، فالشيخ ــ رحمه الله ــ كان يتتبعه ويلازمه وقت بقائه في مكة ويحرص على التحصيل منه ومن غيره من علماء الحرم.

● ● ●

(١) سامطة والجاضع، والعقدة، وبيش عند الحسن العكيري وجبريل الحكمي في سنة ١٣٦٥هـ.
(٢) استفدت هذه الترجمة منه شخصياً في يوم السبت ٢٩/٢/١٤٠٧هـ.
(٣) أخبرني بذلك الشيخ محمد الحكمي.

المبحث الخامس:

أسباب نبوغه ونجاحه في طلب العلم

إن أسباب نجاحه ونبوغه في العلم الذي أثمر له العمل الصالح تكاد تنحصر فيما يلي:

١ ــ عناية ربانية رحيمة يشهد له بذلك ما كان عليه من عمل البر والتقوى والزهد والورع والتضحية التي لا نظير لها في عصره في سبيل تحصيل العلم الشريف في مختلف فنونه الطيبة المباركة.

٢ ــ ثم توجيهات عالم فذ مجرب ماهر يطرق تحصيل العلم وكيفية قطف ثمراته ألا وهو الشيخ عبد الله القرعاوي الذي تتلمذ الشيخ حافظ على يديه مدة وجيزة المقدار بيد أنها مليئة بالخير والعلم والفضل.

فقد كان يساعده من الناحية المادية فكان سكنه مأوى لطلاب العلم المغتربين من الحبشة والصومال واليمن ومن أطراف المنطقة يوم أن كان ساكناً في مدينة بيش(١)، وبعد تركه إياها(٢).

---

(١) بيش: يطلق على وجه التعميم على ما يسقيه «وادي بيش» وعلى وجه التخصيص يطلق في تأريخنا الحاضر على قرية «مسلية»، «قرية المطعن»، و «قرية بيش»، وارتفاعها عن سطح البحر ٤٩٠ قدماً تقريباً.

(٢) أخبرني بذلك الشيخ زيد محمد المدخلي ــ حفظه الله ــ.

٣ ـ استثمار الوقت في القراءة والتأمل والتدبر والمداومة على القراءة بلا ملل ولا فتور ولا سيما القراءة في علوم الشريعة على اختلاف فنونها ووسائلها ذات العلاقة القوية بها، ورأيت ذلك واضحاً من خلال مطالعتي لمكتبته، مع الحرص على كتابة وتسجيل ما يسمعه من شيخه، فلقد كتب شرح بلوغ المرام(١) حين انتهى شيخه من شرحه(٢).

٤ ـ ما كان يتصف به شيخنا ـ رحمه الله ـ من زهد وورع وإيثار للآجلة على العاجلة وهذه الصفات التي وهبها الله له جعلت وجهته واحدة، وحددت تفكيره بسببها في مسلك واحد ألا وهو طلب العلم الشرعي وتدوينه ونشره، مع الحرص الشديد على اقتناء الكتب وشاهد ذلك أنه كان في إحدى زياراته لبيت الله الحرام وجد كتاب «خلق أفعال العباد»(٣)، لدى أحد المدرسين في الحرم المكي الشريف(٤). فأخذه منه عاريَّة لمدة أسبوع وأكب عليه ينسخه، فكتبه بأكمله، وبعد ذلك رده على صاحبه، فأخبره الشيخ حافظ بأنه نقله، فأعجب هذا الشيخ به، وبحرصه وعلو همته في هذا المطلب الشريف فأعطاه الكتاب هدية له(٥).

---

(١) بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ.
(٢) أخبرني بذلك الشيخ أحمد بن يحيى النجمي.
(٣) هذا الكتاب للإمام البخاري ـ رحمه الله ـ ت ٢٥٦هـ.
وهو كتاب عظيم الفائدة حيث يبحث في بيان عقيدة السلف رضي الله عنهم.
(٤) اسمه عبد الرزاق حمزة، أخبرني بذلك الشيخ محمد الحكمي.
(٥) أخبرني الشيخ محمد الحكمي، وقال: إن هذا الكتاب له قيمته عند الشيخ عبد الرزاق ولكنه لما عرف حرصه واهتمامه أعطاه إياه هدية له وتشجيعاً.

٥ ـ قوة الذاكرة وعمق الفهم لمعنى ما كان يقرأ، وسرعة الحفظ للمتون النافعة المفيدة نظماً ونثراً.

٦ ـ العمل بالعلم ونشره في كل مناسبة من المناسبات العامّة والخاصة، وهذا له أعظم الأثر في زيادة العلم ونمائه المطّرد السريع.

● ● ●

المبحث السادس:
صفاتـه الخَلقيـة والخُلقيـة

كان ــ رحمه الله ــ الجوهرة اللامعة والشجرة الفارعة من ذلك النبات العلمي ــ فهو أعجوبة من أعاجيب الشباب الصالح ونابغة من النوابغ تردد اسمه في الأصقاع ولم يتجاوز عمره العشرين عاماً، فقد تجاوز اسمه محيطه القروي وبيئته المحدودة وبدأ ينتشر في المدن والقرى.

فكانت مجالس الفضلاء وحلقات العلماء تذكر اسمه بالدهشة لما كان عليه من ذكاء وحافظة وفهم سليم ونبوغ مبكر استولى على دهشة الناس واستبد بإعجابهم[١] .

فهو ــ رحمه الله ــ مثال يحتذى به لكل خير وصلاح حيث توفي وهو في زهرة شبابه، كان متوسط القامة إلى الربعة أقرب، أسمر اللون قليلاً مدور الوجه، لحيته سوداء وخفيفة، سليم من كل عاهة، ولكن السعال كان ينتابه كثيراً[٢] .

وكان عمدة بلده في وقته علماً وسماحة ونزاهة وتواضعاً وكان قوي الشخصية، مع قوة الإدراك، وسعة الخاطر، وكان على جانب عظيم من

(١) مجلة المنهل، ج ١، المجلد ١٩، ص ٤٧، محمد السنوسي.
(٢) أخبرني بذلك أخوه الشيخ محمد بن أحمد الحكمي ــ حفظه الله ــ .

حسن الخلق والأمانة والشهامة، واللَّطافة وفي غاية الإدبار عن الدنيا، وأنه لم يأخذها إلاَّ بيده ولم تقع في قلبه، وكانت له هيبة تامة عند الناس عامة مع الاحترام والتقدير[1].

وكان إذا سار في طريقه لا يلتفت كأنما ينحط من صبب ولديه الاحترام التام لغيره، فإذا أتى المسجد مثلاً لا يؤم المصلين إلاَّ بعد إذن إمامه، مع علو مكانته وشغفهم، بسماع صوته[2].

وكان ــ رحمه الله ــ على صفات عظيمة من الصدق والكرم والجد والاجتهاد الدائم، يحب الرياضة والمزاح والمصارعة والجري[3].

كانت مجالسه دائماً عامرة بالدرس والمذاكرة وتحصيل العلم تغص بطلابه في البيت والمدرسة والمسجد، لا يمل حديثه، ولا يسأم جليسه، خفيف النفس، مما يجذب قلوب الناس إليه، ويحبب إليهم مجالسته والاستفادة منه مع البساطة معهم[4].

لقد جمع ــ رحمه الله ــ بين هذه الصفات كلها فكان قدوة في محيطه ومجتمعه، يتقبل منه الناس ويستجيبون له ويسمعون منه، فهذه الخصال تبيّن مدى نجاحه وسعة فهمه.

واتصف ــ رحمه الله ــ بصفة التواضع، الذي هو من صفات الدعاة إلى الله، كما هو الدليل لمعرفة الإنسان نفسه؛ ومعرفته لربه ــ سبحانه وتعالى ــ : «ما تواضع أحد لله إلاَّ رفعه»[5]. بخلاف الكبر الدال على جهل الإنسان بنفسه وجهله بربه الذي خلقه فسواه، قال عليه الصلاة

---

(١) حدثني بذلك الشيخ محمد بن أحمد الحكمي.

(٢) حدثني بذلك الشيخ إبراهيم خلوفة مساعد رئيس محكمة جازان.

(٣) حدثني بذلك الشيخ علي صديق عريشي، مدرس بمعهد سامطة.

(٤) حدثني بذلك الشيخ محمد بن أحمد الحكمي.

(٥) صحيح مسلم شرح النووي م ٨، ج ١٦، ص ١٤١ كتاب البر.

والسلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال رجل: يا رسول الله: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حَسَناً ونعله حَسَنَةً، فقال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»[1]

فكان ـ رحمه الله ـ سهلاً في ملبسه ومظهره[2] ، يشارك الناس ولا يحب التميز عنهم، وكان ـ رحمه الله ـ يبتعد كل البعد عن العجب وما يؤدي إليه وشاهد ذلك أنه لما انتهى من تأليف «سلم الوصول إلى علم الأصول» ولم يسمّها بعد، اطلع عليها الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد[3] ، قال له أريد أن أسمها «الأنوار الساطعة في معتقد طلبة العلم بسامطة». فلم يرض الشيخ حافظ بهذا الاسم فراراً من العجب وتواضعاً منه ـ رحمه الله ـ .

من هنا نجد أن الشيخ ـ رحمه الله ـ قد تأدب بآداب الإسلام وحافظ عليها ووطن نفسه على التحلي بها، طاعة لله سبحانه واقتداء بالرسول ﷺ ليكون محبوباً لدى الناس كلهم ويتقبل منه في دعوته ونصحه وتوجيهه.

• • •

(١) صحيح مسلم شرح النووي م ١، ج ٢، ص ٨٩، كتاب الإيمان.

(٢) أخبرني بذلك علي صديق عريشي، مدرس بمعهد سامطة، الأحد، ٣٠/٢/١٤٠٧هـ.

(٣) قاضي البرك آنذاك، من أهالي عنيزة.

المبحث السابع:

أعـــمــــالـــه

عندما لمس الشيخ عبد الله القرعاوي نجاح ونبوغ تلميذه حافظ الحكمي، أسند إليه مهمة تدريس أقرانه وزملائه القديمين منهم والمستجدين. فأخذ يلقي عليهم الدروس والتوجيهات النافعة، ولمّا دخلت سنة ١٣٦٣هـ جعله شيخه مديراً لمدرسة سامطة وفي ذلك يقول عنه: (وفي هذه السنة جعلت حافظاً مديراً لمدرسة سامطة، وملاحظاً لمدرسة الجرادية)[١].

وأخذ الشيخ القرعاوي يجوب الأرض ويفتح المدارس، فكثرت مدارسه في منطقتي «تهامة وعسير»، فكان يعيّن بعض تلامذته عليها، ويزودهم بما منَّ الله تعالى به، وكان حافظ ـ تلميذه الأول ـ في مقدمة القائمين والمشرفين على هذه المدارس بل الساعد الأيمن له أثناء تجواله واطلاعه عليها، وكان يقبل ما يسديه إليه من الآراء ووجهات النظر حول هذه المدارس، إيماناً بمبدأ الشورى:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[٢].

---

(١) مجلة المنهل، مجلد ٨، عدد ٥، جمادى الأولى ١٣٦٧هـ، ص ١٩٣.

(٢) سورة الشورى: آية ٣٨.

وقد أخذ حافظ ــ رحمه الله ــ أموره بالجدية لتأدية الأمانة وإحقاقاً للحق في سبيل الدعوة وتوجيه الناس من أبناء المنطقة ليغرس مبادىء الإسلام في نفوسهم ليصبحوا دعاة خير وصلاح، مع صبره وثباته على ما يلاقيه منهم:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. . .﴾ الآية[1] .

وفي سنة ١٣٦٤هـ أخذ يتنقل بين المدارس ويلتقي بطلابها حتى أصبح من هؤلاء الطلبة علماء أفاضل يقومون بأعمال كبيرة، ومناصب متنوعة كالقضاء والتدريس والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع أنحاء المنطقة الجنوبية وغيرها[2] .

وفي سنة ١٣٧٣هـ افتتحت وزارة المعارف السعودية مدرسة ثانوية بجازان، فعيّن الشيخ مديراً لها في ذلك العام[3] .

وبعد ذلك في عام ١٣٧٤هـ استطاع الشيخ عبد الله القرعاوي إقناع سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم الرئيس العام للكليات والمعاهد آنذاك بضرورة تأسيس معهد علمي بسامطة، فتم ذلك واختير لإدارته والإشراف على التعليم فيه الشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ[4] ، فأخذ يلقي فيه بعض المحاضرات والدروس، ويؤلف ويملي على تلامذته الكثير من العلوم

---

(١) سورة الكهف: آية ٢٨.

(٢) سيأتي الحديث عنهم وعن مدى تأثرهم بشيخهم وذلك في المبحث الأخير عن تلامذته.

(٣) التقديم لمعارج القبول، ط ٣، ج ١، ص (ش).

(٤) جريدة الجزيرة، مقابلة مع أحد تلامذته، الجمعة، ٤ ذي القعدة ١٤٠٦هـ، العدد ٥٠٣٤.

الشرعية واللغوية والتاريخية، لإيمانه بعظم المسؤولية وابتعاداً عن صفات المغضوب عليهم الذين وصفهم الله بوصف فاضح لهم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ . . . ﴾ الآية[1] .

خذلهم الله وأبطل كيدهم.

● ● ●

(١) سورة البقرة: آية ١٧٤.

المبحث الثامن:

أدبـــه

نرى من خلال مؤلفات الشيخ ـ رحمه الله ـ أنه كان أديباً قوياً يعد من فحول الشعراء وأقدرهم على قول الشعر، فهو يقوله سليقة دون تكلّف، لقد كانت بلدان المخلاف السليماني آنذاك تحيا حياة أدبية مناسبة، وتحفل بشيء من الاتجاهات الدينية المتباينة، مما جعل الشيخ يذكي روح اليقظة الشعرية ويسخرها للدعوة إلى الله وخدمة الإسلام ومبادئه السامية.

وقد حفل شعره بكثير من القصائد الأدبية والمنظومات العلمية والنصائح الدينية وحث الهمم، ومحاربة البدع الموجودة في المنطقة والمعتقدات الباطلة[1]، ومع ذلك لم يدوّن من هذا الشعر إلّا الشيء القليل جداً، ففي إحدى قصائده[2]، نراه يعظم شأن العلم وحملته ويحث عليه ويذم الجهل وأهله.

يقول ـ رحمه الله ـ:

العلم أغلى وأحلى ما له استمعت ... أذن، وأعرب عنه ناطق بفم

العلم غايته القصوى ورتبته الـ ... ـعلياء فاسعوا إليه يا أولي الهمم

العلم أشرف مطلوب وطالبه ... لله أكرم من يمشي على قدم

(١) سيأتي بيان ذلك في مبحث مستقل عند الحديث عن تغييره للمنكر.

(٢) وهي (المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية).

العلـم نـور مبيـن يستضـيء بــه أهـل السعـادة والجهّـال فـي الظلـم
العلـم أعلـى حيـاة للعبـاد، كمـا أهـل الجهـالـة أمـوات بجهلهـم

ثـم يقـول ــ رحمـه الله ــ مرّغباً في العلـم، وحـاثاً على التضحيـة في سبيله، والسعي لنيل أكبر قسط منه، مع وصيته لطالبه بمساعدة غيره في تحصيله وتقريب مباحثه، وقبل ذلك الإخلاص في طلبه ونشره لأن مدار العمل على أصلين أن يكون خالصاً وصواباً، كما قال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ : «اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً»[1] .

يـا طـالـب العلـم لا تبغـي بـه بـدلا فقـد ظفـرت ورب اللـوح والقلـم
وقـدّس العلـم واعـرف قـدر حـرمته في القول والفعل، والآداب فالتزم
واجهـد بعـزم قـوي لا انثنـاء لـه لـو يعلـم المرء قـدر العلـم لـم ينـم
والنصـح فـابـذلـه للطـلاب محتسبـا في السـر والجهـر والأستـاذ فـاحترم
ومـرحبـا قـل لمـن يـأتيـك يطلبـه وفيهم احفظ وصايا المصطفى بهم
والنيـة اجعـل لـوجـه الله خـالصـة إن البنـاء بـدون الأصـل لـم يقـم

إلى آخر ما قال ــ رحمه الله ــ .

وهـذا النموذج من الأدب يعطيك قوة يقينه وثباتـه ــ رحمـه الله ــ ، وحرصه على دعوة غيره في أسلوب مثير ومحي للقلوب الغافلة والمقفلة.

وشاهد ذلك أنه لمّا اطلع على هذه المنظومة أحد العلماء[2] كتب ثناءً عليها وعلى صاحبها يقول فيه:

---

(١) العبودية: لابن تيمية، ط ٥، ص ٧٦.

(٢) اسمه إسماعيل بن عبد الرحمن المتوكل: من علماء اليمن في عام ١٣٧٢هـ.
وجدت هذا التقريظ عند الشيخ علي بن عبد الله الأهدل في مجلد عنده، قد حفظ فيه أمورا كثيرة من هذا القبيل.

«شاء الله أن أطلع على قصيدة الشيخ الحكمي الميمية الغراء المشتملة على غرر الفوائد، ودرر الزوائد فألفيتها أعجوبة زمانها، ووحيدة أوانها، ولقد كان الوقوف بها على غرة فلشد ما أعجبت بها وإني لأشهد لناظمها ــ حفظه الله ــ بإحراز قصب السبق في مضمار النّظام ولا غرو فهو من بلد مشاهير العلماء، ومعدن ينابيع البلغاء، فجزاه الله أفضل ما جزى الله به ولياً من أولياء الله المخلصين ونفع به وبعلمه الطلاب والمتعلمين آمين، ١٢ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ.

وأيضاً في قصيدته الهمزية التي قالها في تعظيم الإسلام وأهله والدعوة إلى التمسك بأساسه وأصله، وهي لا تزال مخطوطة لم تطبع بعد[١] ، «وتقع في أكثر من مئتي بيت، استعرض فيها ماضي المسلمين وحاضرهم وما ينبغي أن يكونوا عليه في مستقبلهم، كل ذلك بأسلوب قوي رصين، وتعبير جزل، بالإضافة إلى ما تفجر في جوانب أبياتها من شعور فياض، ومعادن سامية، وأهداف نبيلة، وروح عالية، تحدث في أولها عن الرسول ﷺ وقيامه بالدعوة إلى الله»[٢] حيث يقول:

ويعزّ ربي رسله والمؤمنين ... جميعهم بالنصر والإنجاء
حتى استتمّ بناءهم بمحمد ... أكرم به للرسل ختم بناء
فهو الرسول إلى الخلائق كلهم ... ممن تقل بسيطة الغبراء
ما لامرىء أبداً خروج عن شريـ ... ـعته ونهج طريقه البيضاء
لم يقبض المولى تعالى روحه ... حتى أشاد الدين بالإعلاء
وأتمّ نعمته وأكمل دينه ... ولخلقه أداه أيّ أداء
ومضى وأمته بأقوم منهج ... وعلى محجّة هديه البيضاء

---

(١) توجد لدى الدكتور أحمد.

(٢) معارج القبول، ط ٣، ج ١، ص (ق).

ثم بعد ذلك يتحدث عن الخلفاء الراشدين، ثم من بعدهم من المسلمين في العصور التي تلت عصر السلف الصالح، وعندما وصل إلى القرن السابع الهجري عصر شيخ الإسلام (ابن تيمية) قال:

وأتى بقرن سابع من هجرة ... علم به يؤتمّ في الظلماء
أعني بذاك الحبر أحمد من إلى ... عبد الحليم نمى بلا استثناء
كم هاجم البدع الضلال وأهلها ... بدلائل الوحيين خير ضياء
وقواعد التحريف هدّ أصولها ... أعظم به هدماً لشرّ بناء
وله جهاد ليس يعهد مثله ... إلاَّ بعهد السادة الخلفاء

وبعد أن ذكر كفاح ابن تيمية ــ رحمه الله ــ في قمع الفتن ومحاربة البدع «تابع المسيرة إلى العصور الإسلامية التالية مصوّراً طبيعة الحياة التي كان يعيشها المسلمون في تلك الأزمنة مشيراً إلى بعض المصلحين الذين سعوا لتصحيح الأوضاع في بلادهم كالشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ رحمه الله ــ في القرن الثاني عشر الهجري وغيره؛ ثم ذهب يوجّه الخطاب إلى العلماء وطلاب العلم في عصره، مستنهضاً هممهم للدعوة إلى الله والإخلاص في العمل والقيام بالواجب الملقى على عواتقهم نحو إخوانهم المسلمين في كل مكان»[1] . حيث يقول ــ رحمه الله ــ :

هل تسمعون معاشر العلما ألا ... تصغون نحو مقالتي وندائي؟!
يا طالبي علم الشريعة فانهضوا ... وادعوا عباد الله باستهداء
انحوا بهم نحو الصراط المستقـ[2] ... ـيم ورفض كل طريقة عوجاء

(١) معارج القبول، ط ٣، ج ١، ص (ر).

(٢) ــ الصراط المستقيم ــ أمور باطنة في القلب ــ من اعتقادات، وإرادات وغير ذلك، وأمور ظاهرة ــ من أقوال، أو أفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس، والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك. =

كيـف انتصـار المسلميـن وجلّهـم   عـن دينهـم فـي غفلـة عميـاء؟![1]

ولعلنّا من خلال هذه الأبيات وغيرها نعرف عاطفته الدّينية القوية التي تعبر عن فكرته الإسلامية الصحيحة التي آمنت بالكتاب والسنّة وسعت لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى وشعره الإسلامي ومؤلفاته المفيدة يشهدان على صحة ما أقول وهو ـ رحمه الله ـ في أدبه هذا يعبر عن عقيدة إسلامية واعية غايتها حماية المسلمين من الاتجاهات المعادية في عصره، والخشية على مستقبلهم، ولعل ما ذكرناه من هذه المقتطفات يكفي كنماذج حية تشهد على صحة ما قلناه عن قوة شعره الإسلامي الأصيل، وسمو مقصده منه[2] .

• • •

= انظر: كتاب اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ج ١، ط ١، ١٤٠٤هـ، ص ٧٩.

تحقيق وتعليق د. ناصر العقل.

(١) انظر: كتاب معارج القبول ج ١، ط ٣، ص (ق).

(٢) سيتضح ذلك أكثر عند الحديث عن مؤلفاته.

المبحث التاسع :

ثنـاء المعاصرين عـليـه

اتصلت بسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ــ حفظه الله ــ[1] أسأله عن الحكمي ــ رحمه الله ــ فقال رجل من أهل العلم والخير وطيّب، له جهود مباركة كتبه مفيدة معروفة، وأهل المنطقة يعرفون عنه الأكثر والأكثر، وقد تولّت رئاسة الإفتاء طبع كتبه.

(١) سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ولد بالرياض سنة ١٣٣٠هـ، نشأ من أول عمره في طلب العلم، وفي أسرة كريمة، بدأ دراسته بحفظ القرآن الكريم فحفظه قبل البلوغ، ثم تلقى العلوم الشرعية والعربية على يد مشائخه الكرام منهم محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، محمد بن إبراهيم آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، سعد بن حمد بن عتيق، حمد بن فارس وكيل بيت المال آنذاك وغيرهم كثير.

ويعد سماحته من كبار العلماء المجتهدين، وقد كرّس جهوده للتدريس والدعوة، وهو من العلماء المتواضعين، تولى القضاء في الخرج ١٣٥٧ ــ ١٣٧١هـ، ولم يقتصر على هذا فحسب بل كان يراسل المسؤولين ويقوم بالتعليم والنصح والتوجيه، ثم انتقل إلى التدريس في المعاهد والكليات عام ١٣٧١ ــ ١٣٨٠هـ ، حين فتحت الجامعة، ثم عيّن رئيساً للجامعة الإسلامية، ثم رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ثم صدر مرسوم ملكي بتعيينه رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ومفتياً عاماً للمملكة العربية السعودية، ورئيساً لهيئة كبار العلماء. له مؤلفات ومحاضرات كثيرة، من كتبه: الفوائد الجليلة في المباحث الفرضية، نقد القومية العربية، توضيح المناسك، رسالة في نكاح الشغار الجواب المفيد في حكم التصوير، رسالة في التبرج مع فتاوى أخرى. حفظ الله سماحة الشيخ وأكثر من أمثاله في خدمة الإسلام والمسلمين.

وسألت عنه فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين(١). فقال رجل سلفي بلا شك، وعالم جليل، موفّق في مؤلفاته وتنبئك عن المرء أفعاله، وقد ركز على الدعوة إلى العقيدة السليمة، لما كان عليه مجتمعه وبيئته، ولا دعوة بدون عقيدة.

ويقول فيه الشيخ أبو بكر جابر الجزائري(٢):

عقيدته سلفية خالصة، أدعوا إلى حفظ سلم الوصول الذي هو المتن وفهم المعنى الذي هو معارج القبول.

---

(١) محمد بن صالح بن عثيمين ــ أحد العلماء الأجلاء يعد من أكابر العلماء درس على عدة مشائخ منهم: الشيخ عبد الرحمن بن سعدى ــ رحمه الله ــ. له نشاط ملموس جداً في الدعوة والتوجيه، والإفتاء والتدريس، وهو يعمل الآن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في كلية أصول الدين بالقصيم حيث يسكن في مدينة عنيزة، مع إمامة المسجد الكبير بمدينة عنيزة، وله مؤلفات كثيرة منها: أحكام الأضحية والذكاة، مجالس شهر رمضان، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، عقيدة أهل السنّة والجماعة، بالإضافة إلى مؤلفات دراسية للمعاهد العلمية ومحاضرات يلقيها في المناطق المنتشرة، وله من المحاضرات العلمية والدعوية عدد كبير سجل بعضها بواسطة الأشرطة الصوتية، ــ حفظه الله وبارك في جهوده ــ.
اتصلت به في يوم الاثنين الموافق ٢٤/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

(٢) أبو بكر جابر الجزائري: أحد العلماء المعروفين المشهورين ويسكن في المدينة المنورة حيث يدرّس في الجامعة الإسلامية وفي المسجد النبوي الشريف، له نشاط ملموس جداً في الدعوة، والإفتاء، والتدريس، له مؤلفات كثيرة منها: الضروريات الفقهية، الدروس الجغرافية، كتاب رسائل الجزائري وكتاب كيف يتطهر المؤمن ويصلي، منهاج المسلم، اتقوا الله في هذه الأمة، إلى الفتاة السعودية، هؤلاء هم اليهود، نصيحتي إلى كل أخ شيعي، القضاء والقدر، عقيدة المؤمن، الدولة الإسلامية.

وأثنى عليه ثناء يستحقه، في حسن دعوته، وأمّا عن أسلوبه فيقول إنه نفيس قيّم.

وسألت الشيخ عبد المحسن العبّاد[1] عن الشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ فقال:

«إن الشيخ ينطبع بالطابع السلفي من خلال كتبه النظمية، والنثرية ويستحق الثناء وهو أهل له، فكتاباته تعطيك فكرة عن قوة دفاعه عن العقيدة الإسلامية، ويتّضح ذلك من خلال كتبه: معارج القبول، والجوهرة الفريدة، وغيرها.

ويقول أحد تلامذته الدكتور زاهر بن عواض الألمعي[2]:

---

(١) عبد المحسن بن حمد العبّاد: أحد المهتمين بالدعوة والتوجيه له باع طويل في ذلك من خلال محاضراته ونشاطه، يتولى التدريس في الجامعة الإسلامية، ومن الباحثين في السنّة وعلومها، له مؤلفات منها: «دراسة حديث نضر الله امرءاً سمع مقالتي»، رواية ودراية، يتكون من ٢٦٦ صفحة، وكتاب أخلاق الرسول ﷺ، ومحاضرات مسجلة منها: شرح حديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس»، و «اليوم الآخر»، وغيرها. اتصلت به يوم الأربعاء الموافق ٢٥/ ١٠/ ١٤٠٦هـ.

(٢) ولد بمنطقة رجال ألمع سنة ١٣٥٤هـ، التحق بالخدمة العسكرية بمنطقة جازان سنة ١٣٧٠هـ، استقال من الجندية سنة ١٣٧٦هـ، وانتظم بمعهد شقراء سنة ١٣٧٧هـ، وفي سنة ١٣٨٣هـ، انتدب للتدريس بمعهد أبها، ثم رشح مديراً لمعهد نجران العلمي سنة ١٣٨٥هـ، حصل على الشهادة الجامعية سنة ١٣٨٦هـ، حصل على الماجستير سنة ١٣٨٩هـ، وبعدها على الدكتوراه سنة ١٣٩٣هـ، ثم عمل عميداً لشؤون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

له مؤلفات كثيرة منها: مناهج الجدل في القرآن الكريم، تحقيق كتاب «استخراج الجدال من القرآن الكريم» لابن الحنبلي، وكتاب مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش، وكتاب رحلة الثلاثين عاماً «سيرة ذاتية»، وديوان على درب الجهاد، وديوان الألمعيات، وكتاب مدارس التفسير في عهد =

«عقيدته عقيدة السلف الصالح، عالم كبير بأصول أهل السنّة والجماعة، سلفي المذهب، سيرته جديرة بالدراسة والاهتمام، قدوة لشبابنا، حفظ القرآن والمتون ـ نفع الله به ـ ، آية في الحفظ حيث فاق أقرانه».

ويقول أحد تلامذته عنه[1]:

«كان له الدور الكبير والفضل بعد الله ـ سبحانه وتعالى ـ في نشر العلم وتوسيع قاعدة التعليم التي رسّخها القرعاوي في منطقة جازان، فهو نابغة بل باقعة»[2].

ويقول الدكتور عبد الله أبو داهش[3] فيه:

= الصحابة والتابعين وأشهر رجالها، وكتاب أصحاب الأخدود في ضوء القرآن والسنّة والتاريخ ـ حفظه الله وبارك فيه ـ .
اتصلت به يوم السبت الموافق ٢٢/ ٢/ ١٤٠٧هـ.
ويعمل الآن عميداً لفرع جامعة الإمام بالجنوب وأحد أعضاء مجلس الشورى.
انظر: علماء ومفكرون، محمد المجذوب، ط ١، ص ٢٦.
اتصلت به يوم الثلاثاء الموافق ٢٥/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

(١) علي بن محمد العمير: من مواليد جازان، أحد خريجي المعهد العلمي بسامطة، وأحد الصحفيين والأدباء في المملكة.
انظر: جريدة الجزيرة، العدد ٥٠٣٤ بتاريخ ٤ من ذي القعدة عام ١٤٠٦هـ في مقابلة معه.

(٢) الباقعة: الداهية: الرجل الدّاهية، ورجل باقعة ذو دهي.
لسان العرب ج ١، ط دار صادر ص ١٩.

(٣) عبد الله بن محمد بن حسين أبو داهش، في رسالة مقدمة لكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للحصول على درجة الدكتوراه من قسم الأدب ـ بعنوان أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأدب والفكر بجنوبي الجزيرة العربية.

«إنه من عصبة نفع الله بهم تهامة بعد ضلال من البدع والمحدثات، وما شيّدت أركان السلفية في جازان وما حولها إلاَّ على أكتاف رجال مخلصين، منهم الحكمي وشيخه القرعاوي، ورجال آخرون.

وهكذا تواترت الأقوال عن مكانة الشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ ومدى قوة تأثيره في مجتمعه داعية وموجهاً ومعلماً ومربياً، ولو تتبعت جميع ما قيل عنه لطال بنا الحديث.

● ● ●

انظر: ص ٤٢٢.

المبحث العاشر:
وفـــاتـــه

إن من علامات الخير للرجل الصالح وقبوله لدى المسلمين إحساسهم بفقده حين يموت، هذا وقد توفي الشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ في يوم السبت الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧هـ. بمكة المكرمة على إثر مرض ألم به، وهو في ريعان شبابه، حيث كان عمره آنذاك خمساً وثلاثين سنة ونحو ثلاثة أشهر، ودفن بمكة المكرمة ـ رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأوفره ـ، ولقد كان لصدى وفاته على كل من عرف فضله من الرجال والنساء والأطفال وقع شديد[١].

وقد رثاه بعض تلاميذه رثاءً يعكس مدى الفاجعة التي أصابت الجميع بموته، فها هو الشيخ إبراهيم بن حسن الشعبي يرثيه في قصيدة يقول فيها[٢]:

توفّى (حافظ) ركن البلاد ... وخلف حسرة لي في الفؤاد
وقد ضاقت عليّ الأرض ذرعا ... بما رحبت ولم تسع البوادي

(١) أخبرني بذلك كل من الشيخ جبريل الحكمي، وحسين أحمد النجمي، وغيرهم.
(٢) أخبرني الشيخ إبراهيم بن حسن الشعبي أنه قالها وهو في الصف الرابع الثانوي آنذاك.

وسـاء الحـال منـي حيـن وافـى بنـا نعـي الفتـى البطـل العمـاد
لقـد كنـت المقـدم فـي المـزايـا مـن الخيـرات يـا قطـب النـوادي
. . . وكنـت القـائـد المـدعـوّ فينا فمـن تختـار بعـدك للقيـاد؟
سـلاح للمشـاكـل كنـت قـدمـا ومصبـاح البحـوث بكـل وادي
وفـي كـل العلـوم مـددت بـاعـاً وهمّتـك العليّـة فـي ازديـاد

وقد أخبرني الشعبي أنه قالها بين يدي سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم[1] ، فأعجب بها وفاضت عيناه من الدمع ومن كان معه في المجلس أيضاً، وقال سماحة الشيخ ابن إبراهيم: إن هذه مصيبة عظيمة يا ولدي على الجميع ليست عليكم وحدكم، فإنا لله وإنّا إليه راجعون.

وكذلك رثاه زاهر الألمعي بقصيدة[2] نذكر منها ما يلي:

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، وُلد سنة ١٣١١هـ، حفظ القرآن وعمره عشر سنوات، كفَّ بصره وهو في الرابعة عشرة من عمره، تولّى الإفتاء والتدريس وإمامة الجامع والخطابة بعد والده، وعمل مستشاراً شرعياً لدى الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ ، له دروس في المسجد يقرأ عليه الصغار والكبار، في التفسير، والحديث، واللغة والفقه.
واستمر على هذه الصفة من عام ١٣٣٩هـ إلى عام ١٣٨٠هـ؛ حيث ترك جميع الدروس ما عدا الفقه وبلوغ المرام، تخرَّج على يديه أفواج من العلماء منهم عبد الله بن محمد بن حميد ــ رحمه الله ــ ، وعبد العزيز بن باز ــ حفظه الله ــ ، وعبد الرحمن بن قاسم ــ رحمه الله ــ .
له جهود كبيرة في الدعوة والتوجيه ومحاربة الفساد، وكان مسموع الكلمة يناصح الولاة والعلماء والعامة ــ رحمه الله ــ رحمة واسعة وتوفي سنة ١٣٨٩هـ.
انظر: علماء ومفكرون عرفتهم: محمد المجذوب، ص ٢٤٧ ــ ٢٥٤.
(٢) الشيخ الدكتور: زاهر بن عواض الألمعي. وذلك في ديوانه «الألمعيات».

لقد دوّى على (المخلاف)[1] صوت	نعى النحرير عالمها الهماما
تفجّعت الجنوب وساكنوها	على بدر بها يمحو الظلاما
وذاعت في الدنا صيحات خطب	فهزّت من فجائعها الأناما
فكفكفت الدموع على فقيد	على الإسلام شمّر واستقاما
وأحيا في الربوع بيوت علم	وواسى مقعداً ورعى يتامى
أ (حافظ) كنت للعلياء قطباً	وللإسلام طوداً لا يسامى
وبحراً في العلوم بعيد غور	كثير النفع قوّاما إماما
وأنت وإن تمت فجذاك وفر	يضيء دروبنا فالأمر غاما
وقد خلّفت آثاراً جساما	فرائد خرّدا عظمت مقاما
نشرت العلم فانتعشت بلاد	ونالت في مطالبها المراما
ونوّرت الدجى بثمار فكر	وهل كالفكر ما يجلو الظلاما؟
ألا صبراً بني جازان إنّا	لنبكي مثلكم هذا الهماما
ولكن ذاك دولاب المنايا	يدور وليس يستثني العظاما
فقيد الفضل فضلك سوف يبقى	مناراً في الزمان وإن ترامى
حباك الله رضواناً وخلداً	وألهمنا على الصبر اعتصاما[2]

---

(١) يقصد به مقاطعة جازان وتتسع مساحة هذا المخلاف وتضيق تبعاً لتطورات الأحوال السياسية في مختلف العهود إلاّ أن هذه المقاطعة تشمل الآن القسم الجنوبي الغربي من البلاد السعودية، يحده شمالاً ميناء البرك التابع إدارياً لأمارة القنفدة، وجنوباً حدود اليمن الشمالية، وغرباً بحر القلزم (البحر الأحمر)، وشرقاً «رجال ألمع» وجبال هروب وجبال بني مالك وجبل النظير.
تاريخ المخلاف السليماني: محمد العقيلي، ج ١، ١٣٧٨، مطابع الرياض، ص ٣.

(٢) انظر: ديوان «الألمعيات» د. زاهر بن عواض الألمعي، ط ٣، ص ١٣٤، بعنوان: فقيد الإسلام.

الفصل الثالث :

أثـــره في الـــدعـــوة

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول : مـؤلفـاتـه.

المبحث الثاني : جهوده في الدعوة والتدريس.

المبحث الأول :

مـؤلـفـاتـه

* مـكـتـبـتـه :

١ ــ سلم الوصول.

٢ ــ معارج القبول.

٣ ــ أعلام السنّة المنشورة.

٤ ــ الجوهرة الفريدة.

٥ ــ دليل أرباب الفلاح.

٦ ــ اللؤلؤ المكنون.

٧ ــ السبل السويّة.

٨ ــ وسيلة الحصول.

٩ ــ لامية المنسوخ.

١٠ ــ رسالة النور الفائض.

١١ ــ نيل السول.

١٢ ــ المنظومة الميمية.

١٣ ــ نصيحة الإخوان.

١٤ ــ قصيدة «الترغيب والترهيب».

١٥ ــ أمالي في السيرة ــ مخطوط.

١٦ ــ مفتاح دار السلام ــ مخطوط.
١٧ ــ شرح الورقات ــ مخطوط.
١٨ ــ همزية الإصلاح ــ مخطوط.
١٩ ــ مجموعة خطب ــ مخطوط.

• • •

المبحث الأول:

مـــؤلــفـــاتـــه

اتخذ الشيخ ــ رحمه الله ــ من الكتابة مرتكزاً لدعوته، لأنها أثبت للحق وأبقى للاستفادة لمن يأتي بعده، ويجري أجرها عليه كما في قول الرسول ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1].

لذا فقد شمّر عن ساعد الجد وألف في بعض الفنون العلمية نثراً ونظماً، حسب ما اقتضته حياته، وأوجبته عليه مطالب الدعوة وصراعات البيئة الفكرية التي عاش فيها، وذلك كفاحاً عن عقيدته الإسلامية ودفاعاً عن الحق وأهله، ورداً على الباطل وأتباعه.

فألف في العقيدة، والسنّة، والتفسير، والفقه وأصوله، والفرائض والسيرة النبوية، وفي النصائح والوصايا، والآداب العلمية، واللغة العربية. وغير ذلك مما رأى الحاجة تدعو إليه، وكل مؤلفاته ــ رحمه الله ــ تعطي القارىء الدليل الواضح على مكانته العلمية ويكفي للدلالة على جودتها وقيمتها أن بعضها عرض على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ[2]، مفتي الديار السعودية آنذاك، فاستحسنها وأشار على

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، م ٦، ج ١١، ص ٨٥.

(٢) سبقت ترجمته عند الحديث عن وفاة الشيخ حافظ.

الحكومة بطبعها وتوزيعها حتى يستفيد منها الخاصة والعامة على السواء؛ لأنها تدعو إلى التمسك بالكتاب والسنّة واتباع السلف الصالح في سيرتهم[1] .

ومؤلفاته ـ رحمه الله ـ تعطينا فكرة عامة أنه درس معظم أمهات الكتب، ومن خلال قراءتنا لمؤلفاته نجد أن ما يستنبط من الأدلة لما يقول من الكتاب والسنّة والآثار يدل دلالة واضحة على حفظه لهذه المصادر، كما أن تلامذته والمعاصرين له عكفوا على مؤلفاته فكانوا يتسابقون إلى حفظها ودراستها، لوضوح معانيها، وسهولة أسلوبها ويحرصون على اقتنائها، حتى إنهم يسافرون ويقطعون المسافات للحصول على نسخة منها، كما أنها موضع استشهاد للأساتذة والطلاب في حلقاتهم ودروسهم العلمية، وخطبهم وندواتهم، حتى أنها كانت ترسل إلى البلاد المجاورة كالحبشة وأريتريا واليمن وغيرها[2] .

وسنشير في هذا الفصل إلى ما خلّفه وراءه ـ رحمه الله ـ من مكتبة ومؤلفات.

* * *

مكتبته:

من آثاره ـ رحمه الله ـ مكتبة كبيرة تضم كثيراً من الفنون المختلفة وأمهات الكتب الكبيرة[3] ، من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وسيرة، وقد

---

(١) انظر: معارج القبول، ط ٣، ج ١، ص (ظ).

(٢) حدثني بذلك محمد يحيى الحكمي. أحد تلامذته، ممّن تولوا توزيعها حيث كان يعمل في مراقبة المطبوعات لدى رئاسة البحوث في جازان.

(٣) وقد رأيت هذه المكتبة لدى الشيخ محمد بن أحمد الحكمي، ومكثت فيها ليالي أتصفّح تعليقاته وملاحظاته على ما يقرؤه وتنبيهاته على بعض الألفاظ مع كتابة رأيه وذلك بجانب الصفحة في الهامش، وتاريخ قراءته لكل كتاب في الغالب.

أوقف هذه المكتبة على طلبة العلم وممن يريد الاطلاع والفائدة.

لم يكتف بالقراءة فقط، بل كان يكتب ملاحظاته حول ما يناقض منهجه ودعوته، ليستفيد منه من بعده ولأجل ألا تختلط وتتبلبل لدى القارىء الأفكار حول ما يقرؤه، فمثلاً في كتاب «لسان العرب»[1]. يقول الشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ راداً على ابن منظور ــ عفا الله عنه ــ بأسلوب فيه الشفقة والنصح لله، لا بأسلوب التهجم وإطلاق العبارات بدون ترو وفهم لمؤداها.

فهو يقول: قف هنا وتعجب؛ وقل معي: أي صلة بهذه الضلالات التي هي من وحي الشيطان، والتي لم يأذن بها الله، ولا أنزل بها من سلطان، بل هي من دسائس السحرة والصابئين وعبّاد النجوم يفهم ذلك من ذكر العلاقات بينها وبين الكواكب ومنازل القمر وإناطة السحر والنحس بذلك وعمل الطلاسم على حسب ذلك.

كل هذا مما تبرأ منه الملّة القويمة والفطر السليمة والعقول المستقيمة.

وقل معي: كيف ساغ لابن منظور أن لوث بها لسانه، وشوّه غرّته وشأنه وانحط بها من أوج الحق إلى هوة الباطل. ووسم منكرها بأنه الجاهل العاطل، وأشاد فيها باسم البوني وطنطن بذكر ابن عربي، وشهّر بالبعلبكي والحرالي، حقاً لقد مر على المسلمين زمن أدخلوا فيه على دينهم شرّ ما يدخل، وفتحوا لأعدائه عليه أسوأ وأخطر مدخل.

---

(١) لسان العرب: لابن منظور، ت سنة ٧١١هـ ــ رحمه الله ــ وذلك في المجلد ١، ط بيروت ١٣٧٤هـ وذلك من ص ١٤، من قوله: «وأما خواصها»، إلى قوله: «وليس هذا موضع الإطالة» في ص ١٦.

وصاروا بدلاً من أن يدافعوا عنه، عاراً عليه، ووسيلة لطعن خصومه فيه وتطرقهم إليه، اللهم إننا وديننا ولغتنا وفطرتنا نبرأ إليك مما صنع هؤلاء وممن تقلّده عنهم، وممن أتوا به عنه:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[1] .

وأيضاً وجدت في كتاب التوحيد لابن خزيمة في باب إثبات صفات الرّب عزّ وجلّ التي وصف بها نفسه في تنزيله الذي أنزل على نبيه المصطفى ﷺ.

يقول في مقدمته: ملك الفقير إلى رحمة ربه القدير حافظ بن أحمد بن علي الحكمي نسبة، السلفي معتقداً، غفر الله له ولولديه آمين. «شراه بثلاث فرانسة من الحرم المكي الشريف من باب السّلام»[2] .

ويقول في ثنائه على هذا الكتاب ومؤلفه، وذلك في آخره بعدما انتهى من قراءته.

يا أيها السلفي الراجي السلامة من ... لجّى تجر بأهل الجهل ملتطما
ومقتد برسول الله مقتفيا ... أثر الصحابة مع اتباعه العظما
هذا كتاب جليل النفعِ كيف وقد ... أبداه من بالتقى والعلم قد وسما
أعني الإمام التقي الزاهد الورع ... البحر الخضم المكنّى كعبة العلما
الحافظ المستبين ابن خزيمة من ... قد صار نجماً لأرباب الهدى علما
حوى من الفضل أرقاه وأوفره ... إذ لم يكن بسوى الوحيين معتصما

ثم يقول:

---

(١) سورة آل عمران: آية ٨.

(٢) أرى بالمناسبة أهمية ذكر ثمن الكتاب، وتاريخ اقتنائه، وتاريخ قراءته، والتعليق أيضاً.

كـم فيـه مـن شهـب للقـوم محـرقـة		لهم بها الضيغم البطل الشديد رمى

وكـم بـه حجـة للقـوم مفحمـة		مـن الكتـاب ومـن آثـار مـن عصمـا

نقـل العـدول عـن العـدول ليس بـه		راوٍ ضعيـف ولا بـالكـذب متّهمـا

وأيضاً وجدته قد علّق على قول الشارح لكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض من تأليف علي بن سلطان بن محمد القاري الحنفي، حول قضية الحلول والاتحاد عندما قال. . . وقال آخر من أصحاب الشهود سوى الله والله ما في الوجود، وزاد أبو يزيد[1] على من سواه، وقال: ليس في غير الله ومن هذا المقام المحقق منصور الحلاج نطق وقال: أنا الحق، وقال مجنون بني عامر في هذا المعنى:

أنـا مـن أهـوى ومـن أهـوى أنـا		نحـن روحـان حللنـا بـدنـا[2]

فهذا مقام وحال لأرباب الكمال بلا حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال. . .

فوجدته وضع على قوله: «**والله ما في الوجود**» خط.

وكذلك عند آخر قوله: «ولا اتصال ولا انفصال؟».

ثم علق ــ رحمه الله ــ وقال: «ليس لهذه المقولة في التحقيق حقيقة ولكنها هي الهوة السحيقة، التي هوت فيها فرقة الإلحاد، من أهل الحلول والاتحاد، والله ورسوله والمؤمنون منهم براء وإن أشاد المغرورون بذكرهم وعدّوهم الكبراء. «يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين»[3].

---

(١) هو أبو اليزيد البسطامي.

(٢) انظر: ديوان قيس بن ملوّح.

(٣) انتهى كلامه، وذلك في صفحة ٧ من الكتاب المذكور.

وكذلك نجده يعلق على كتاب جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع[1] عند قوله تعالى:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[2].

قال الهاشمي: هذا كناية عن تمام القدرة، وقوة التمكن والاستيلاء.

فعلق عليها الشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ قائلاً: «ألم تجد لقوانينك مثالاً إلاَّ آيات الصفات لتحرّفها عن مواضعها وتزيلها عن مواقعها، ولتصرفها عن ظواهرها وتنفي مقتضياتها على مذهب جهم وأتباعه بئس الرفد المرفود» انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ.

أما كتبه فسنشير إليها إشارات طفيفة وإيضاحات خفيفة:

---

(١) تأليف السيد أحمد الهاشمي بك، ط ١٠ سنة ١٣٥٨هـ، في ص ٣٦١.

(٢) سورة طه: الآية ٥.

ـ ١ ـ

«سلم الوصول، إلى علم الأصول، في توحيد الله واتِّباع الرسول ﷺ»

يقول ـ رحمه الله ـ في سبب نظمه لهذه المنظومة:

«وقد سألني من لا يسعني مخالفته من المحبين[(١)] ، أن أنظم مختصراً يسهل حفظه على الطالبين، ويقرب مناله للراغبين، ويفصح عن عقيدة السلف ويبين، فأجبته إلى ذلك مستعيناً بالله، راجياً الثواب من الله، قائلاً لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، وضممت إلى ذلك مسائل نافعة تتعلق بهذه العصور من التنبيه على ما افتتن به العامة من عبادة الأشجار والأحجار والقبور، ومناقضتهم التوحيد بالشرك الذي هو أقبح المحظور، وصرف جلّ العبادة لغير الله من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والنذور، فيسر الله تعالى ذلك بمنّه وإفضاله، وأعانني وله الحمد والمنّة على إكماله،

---

(١) يعني بذلك شيخه عبد الله القرعاوي حيث يقول القرعاوي في مقابلة معه أشرت إلى حافظ في سنة ١٣٦٢هـ. أن ينشىء نظماً في التوحيد على موجب ما قرأه من كتب الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ وكتب الشيخين ابن تيمية وابن القيّم رحمهما الله.

انظر: مجلة المنهل، مجلد ٨، عدد ٥ شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ، ص ١٩٣.

وسميته «سلم الوصول، إلى مباحث علم الأصول». في أصول الدين، انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢هـ وهي أول مؤلفاته، نظمها ــ رحمه الله ــ وعمره لم يتجاوز عشرين سنة. بأسلوب رصين علمي مفيد، يوقظ الجاهل الغافل المسكين لينبض بها قلبه، ويعرف غايته في الحياة، ويؤمن بربه ويصدق برسالة نبيه ﷺ.

ومن ملامح هذه المنظومة: ابتداؤه ببسم الله، ثم حمده له والصلاة والسلام على رسوله ﷺ كما هو شأن العلماء في منظوماتهم العلمية، وتتميز بالسهولة في الأداء واليسر في النظم، وهي واضحة في معانيها وفيها أجوبة علمية نافعة، فهو يقول:

وبعد: هذا النظم في الأصول ... لمن أراد منهج الرسول
سألني إياه من لا بدّ لي ... من امتثال سؤله المُمتَثَل
فقلت مع عجزي ومع إشفاقي ... معتمداً على القدير الباقي[1]

فهذه المنظومة من خلال عنوانها مؤلفة في العقيدة الإسلامية التي يرجع بها إلى المصدرين الكتاب والسنّة وهذان المصدران هما اللذان بنيا عقيدة الرعيل الأول من هذه الأمة.

فقد تناول أموراً كثيرة تخدم دعوته ومنهجه الذي يؤمن به ويجاهد من أجله. وسنتناول بعض الأمور التي يدعو إليها من ذلك:

تذكير العبد بغايته والحكمة من وجوده في هذه الحياة، حيث يقول سبحانه وتعالى:

---

(١) في هذا البيت نرى تواضعه ــ رحمه الله ــ واعترافه بالعجز واتهام نفسه بذلك مع ما وصل إليه من العلم والنبوغ فيه، هذا هو منهج العلماء فهل يقتدي بهم طلابهم.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] .

فيقول ــ رحمه الله ــ في مقدمة هذه المنظومة :

اعلم بأن الله جل وعلا ... لم يترك الخلق سدى وهملا
بل خلق الخلق ليعبدوه ... وبالإلهية يفردوه
أخرج فيما قد مضى من ظهر ... آدم ذريته كالذر
وأخذ العهد عليهم أنه ... لا ربّ معبود بحق غيره
وبعد هذا رسله قد أرسلا ... لهم وبالحق الكتاب أنزلا
لكي بذا العهد يذكروهم ... وينذروهم ويبشروهم
كي لا يكون حجة للناس بل ... للّه أعلى حجة عزّ وجلّ
فمن يصدّقهم بلا شقاق ... فقد وفّى بذلك الميثاق
وذاك ناج من عذاب النّار ... وذلك الوارث عقبى الدار
ومن بهم وبالكتاب كذبا ... ولازم الإعراض عنه والإبا
فذاك ناقض كلا العهدين ... مستوجب للخزى في الدارين

وهو بهذه المقدمة ــ رحمه الله ــ يبين حق الله على العباد وذلك بعبادته وحده مخلصين له الدين. قال تعالى:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ . . . ﴾[2] .

وأن يجتنبوا كل ما ينافي الإخلاص، من الشرك أو البدع أو ينافي ثوابه من المعاصي.

وبعد المقدمة أتى بفصل يوضح فيه أن التوحيد ينقسم إلى نوعين،

(١) سورة الذّاريات: آية ٥٦.

(٢) سورة البيّنة: آية ٥.

وبيان النوع الأول، وهو توحيد المعرفة والإثبات، يقول في ذلك:

أول واجـــب علـــى العبيـــد ... معـــرفـة الـرحمـن بـالتـوحيـد
إذ هـو مـن كـل الأوامـر أعظـم ... وهـو نـوعـان أيـا مـن يفهـم
إثبـات ذات الـرّب جـلّ وعـلا ... أسمـائـه الحسنـى صفـاتـه العلـى
وأنـــه الـــرّب الجليـــل الأكبـــر ... الخـــالـــق البـــارىء والمصـــوِّر
بـاري البـرايـا منشـىء الخـلائـق ... مبـــدعهـــم بـــلا مثـــال ســـابـــق

إلى آخر ما قال ــ رحمه الله ــ في هذا الفصل.

وفي الفصل الذي يليه بيان النوع الثاني من التوحيد وهو توحيد الطلب والقصد، وأنه معنى لا إلّه إلاَّ الله، ثم في فصل آخر يعرّف العبادة، ويذكر بعض أنواعها وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك ، حيث يقول:

ثـم العبـادة هـي اسـم جـامـع ... لكـل مـا يـرضـي الإلّـه السـامـع
وفـي الحـديـث مخهـا الـدعـاء ... خـوف تـوكـل كـذا الـرجـاء
ورغبـــة ورهبـــة خشـــوع ... وخشيـــة إنـــابـــة خضـــوع
والاستعـــاذة والاستعـــانـــة ... كـــذا استغـــاثـــة بـــه سبحـــانـــه
والـذبـح والنـذر وغيـر ذلـك ... فـافهـم هـديـت أوضـح المسـالـك
وصـــرف بعضهـــا لغيـــر الله ... شـــرك وذاك أقبـــح المنـــاهـــي

ففي هذه المنظومة الوجيزة ذكر أمور العبادة وتعريفها فيقول:

ثـم العبـادة هـي اسـم جـامـع ... لكـل مـا يـرضـي الإلّـه السـامـع

كما عرّفها شيخ الإسلام بقوله:

العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق

الحديث، وأداء الأمانة، وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد... وأمثال ذلك من العبادة[1].

ثم بيَّن ــ رحمه الله ــ أن الدعاء مخ العبادة كما في حديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وأن التوكل والرجاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة كلها يجب أن تصرف لله وحده لا شريك له، كما في قوله تعالى:

﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾[2].

وكما في قول الرسول ﷺ لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[3].

وبيّن ــ رحمه الله ــ أن العبد يجب عليه أن يتوجه إلى خالقه في السرّاء والضرّاء في الخوف والرجاء في أموره كلها كما قال نبـي الله يعقوب عليه السلام:

﴿... إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ ...﴾ الآية[4].

هدفه من ذلك أن يخرج بنتيجة تجعل العبد الفقير إلى ربه يتوجه إلى خالقه ليستمد العون ويستلهم الرّشاد، وليحمل الإنسان على التفكر والتدبّر في هذا الكون الفسيح ليوحّد الله في عبادته.

وفي فصل آخر يحذر من أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك ومنها ما هو قريب منه، مع بيان حكم الرّقى والتمائم.

حيث يقول في ذلك ــ رحمه الله ــ:

---

(١) انظر: كتاب العبودية ط ٥، ص ٣٨.

(٢) سورة هود: آية ١٢٣.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) سورة يوسف: آية ٨٦.

ومــن يشــق بــودعــة أو نــاب أو حلقــة أو أعيــن الــذئــاب
أو خيــط أو عضــو مــن النســور أو وتـــر أو تـــربـــة القبـــور
لأي أمـــر كـــائـــن تعلقـــه وكلـــه الله إلـــى مـــا علَّقـــه
ثــم الــرّقــى مــن حمــة أو عيــن فــإن تكــن مــن خــالــص الــوحيين
فــذاك مــن هــدي النبــي وشــرعته وذاك لا اختــلاف فــي سنيتــه
أمــا الــرّقــى المجهــولــة المعــانــي فـــذاك وســواس مــن الشيطــان
وفيــه قــد جــاء الحــديــث أنــه شــرك بــلا مــريــة فــاحــذرنــه
إذ كــل مــن يقــولــه لا يــدري لعلــه يكــون محــض الكفــر
أو هــو مــن سحــر اليهــود مقتبس علــى العــوام لبســوه فــالتبــس
فحـــذراً ثـــم حـــذرا منـــه لا تعــرف الحــق وتنــأى عنــه
وفـــي التمـــائـــم المعلقـــات إن تـــك آيـــات مبينـــات
فــالاختــلاف واقــع بيــن السلــف فبعضهــم أجــازهــا والبعــض كــف
وإن تكــن ممــا ســوى الــوحيين فـــإنهـــا شـــرك بغيـــر ميـــن
بـــل إنهـــا قسيمـــة الأزلام في البعد عن سيما أولى الإسلام

في هذا الفصل بيّن ـ رحمه الله ـ أن الشريعة الإسلامية لم تترك وسيلة من وسائل تطهير العقيدة وتزكية النفوس وكمال التعلق والتوجه إلى الله إلاَّ جاءت به ودعت إليه.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾(١) .

وجاءت النصوص موضحة النهي عن التعلق بمثل هذه الأمور الشركية التي لا تزيد العبد إلاَّ بعداً عن خالقه، حيث يقول سبحانه:

﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ

(١) سورة الشمس: آية ٩، ١٠.

﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ . . .﴾[1].

ثم بيّن أنّ الأدعية التي تتلى على المريض للشفاء إذا كانت على وفق ما شرعه الله ورسوله ﷺ، فهذا أمر لا بأس به بل هو واجب لأنه من الأخذ بالأسباب، لأن كل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة[2] مع وجوب التوكل عليه سبحانه.

وفي فصل آخر في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلون عند القبور، وما يرتكبونه من الشرك الصريح والغلوّ المفرط في الأموات. فهو يقول:

ومن على القبر سراجاً أوقدا ... أو ابتنى على الضريح مسجدا
فإنه مجدداً جهارا ... لسنن اليهود والنصارى
كم حذّر المختار عن ذا ولعن ... فاعله كما روى أهل السنن
بل قد نهى عن ارتفاع القبر ... وأن يزاد فيه فوق الشبر
وكل قبر مشرف فقد أمر ... بأن يسوى هكذا صحّ الخبر
وحذّر الأمة عن إطرائه ... فغرّهم إبليس باستجرائه
فخالفوه جهرة وارتكبوا ... ما قد نهى عنه ولم يجتنبوا
فانظر إليهم قد غلوا وزادوا ... ورفعوا بناءها وشادوا
بالشيّد والآجر والأحجار ... لا سيما في هذه الأعصار
وللقناديل عليها أوقدوا ... وكم لواء فوقها قد عقدوا
ونصبوا الأعلام والرايات ... وافتتنوا بالأعظم الرّفات

---

(١) سورة الزمر: آية ٣٨.

(٢) انظر: كتاب العبودية، ابن تيمية، ط ٥، ص ٧٣.

بل نحروا في سواحها النحائر ... فعل أو لي التسييب والبحائر
والتمسوا الحاجات من موتاهم ... واتخذوا إلٓهم هواهم
قد صادهم إبليس في فخاخه ... بل بعضهم قد صار من أفراخه
يدعو إلى عبادة الأوثان ... بالمال والنفس وباللسان
فليت شعري من أباح ذلك ... وأورط الأمة في المهالك
فيا شديد الطول والإنعام ... إليك نشكو محنة الإسلام

يذكر في الفصل ــ رحمه الله ــ بيان ما وقعت فيه الأمم الأولى من الضلال والجهل وهذا تحذير للأحياء الموجودين لئلا يقعوا فيما وقعوا فيه. وزجر من وقع منهم عما وقع فيه لئلا يحل بهم ما حل بهم من النكال، كما أنّ الله ــ سبحانه وتعالى ــ ما قص علينا من أخبار الأمم الأولى إلاَّ لنتعظ بهم ونعتبر بمصارعهم ولنعلم أسباب هلاكهم فنتقيه؛ ونعلم سبل النجاة التي سلكها رسل الله وأولياؤه ففازوا بخيري الدنيا والآخرة فنسلكها ونقفوا أثرهم[١].

وفي ختام هذه المنظومة يدعو إلى سلوك الحقّ الواضح الذي يعتمد الكتاب والسنّة أساساً له، فمن خالف ذلك فقد زلّت به قدمه واستحق النصح والتوجيه.

فهو يقول:

شرط قبول السعي أن يجتمعا ... فيه إصابة وإخلاص معا
للّه ربِّ العرش لا سواه ... موافق الشرع الذي ارتضاه
وكل ما خالف للوحيين ... فإنه رد بغير مين
وكل ما فيه الخلاف نصبا ... فَرَدُّهُ إليهما قد وجبا

(١) راجع معارج القبول، ط ٣، ج ١، ص ٣٥١.

فـالـدِّيـن إنمـا أتـى بـالنقـل ... ليـس بـالأوهـام وحَـدْسِ العقـل

ثم أنهى هذا الفصل بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ.

فهـو يقـول:

ثـم إلـى هنـا قـد انتهيـت ... وَتَـمَّ مـا بجمعـه عُنِيـت

سميتـه بسلـم الـوصـول ... إلـى سمـا مبـاحـث الأصـول

والحمـد لله علـى انتهـائـي ... كمـا حمـدت الله فـي ابتـدائـي

أسـألـه مغفـرة الـذنـوب ... جميعهـا والستـر للعيـوب

ثـم الصـلاة والسـلام أبـداً ... تغشى الرسول المصطفى محمداً

ثـم جميـع صحبـه والآل ... السـادة الأئمـة الأبـدال

تـدوم سـرمـدا بـلا نفـاد ... مـا جـرت الأقـلام بـالمـداد

ثـم الـدعـاء وصيـة القـراء ... جميعهـم مـن غيـر مـا استثنـاء

ولقد نالت هذه المنظومة إعجاب شيخه، ولاقت استحسان العلماء المعاصرين له، وفي مقدمتهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتي الدّيار السعودية آنذاك ــ رحمه الله ــ[١] ، الذي أشار بطبعها وتوزيعها ليستفيد منها طلاب العلم كافة، وحدثني أحد تلامذته[٢] أنهم كانوا يتناقلوها عن طريق النسخ وذلك قبل أن تطبع، ويحرصون على حفظها ومناقشة أبياتها، حتى أن أساتذتنا يتداولونها ويستشهدون بها. فهي منظومة سهلة الأسلوب، لا غموض فيها أنشأها على وزن (بحر الرجز) وأبياتها مائتان وسبعون بيتاً[٣] .

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الشيخ محمد بن يحيى فقيه الحكمي.

(٣) اعتمدت على الطبعة الموجودة في كتاب معارج القبول، ج ١، ط ٣، ص ٣٤.

صورة للصفحة الأولى من أصل منظومة (سلم الوصول) بخط الناظم ـ رحمه الله ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأ باسم الله مستعينا ... راض به مدبرا معينا
والحمد لله كما هدانا ... إلى سبيل الحق واجتبانا
أحمده سبحانه وأشكره ... ومن مساوي عملي أستغفره
وأستعينه على نيل الرضا ... وأستمد لطفه فيما قضى
وبعد إني باليقين أشهد ... شهادة الإخلاص أن لا يعبد
بالحق مألوه سوى الرحمن ... من جل عن عيب وعن نقصان
وأن خير خلقه محمدا ... من جاءنا بالبينات والهدى
رسوله إلى جميع الخلق ... بالنور والهدى ودين الحق
صلى عليه ربنا ومجدا ... والآل والصحب دواما سرمدا
وبعد هذا النظم في الأصول ... لمن أراد منهج الرسول
سألني إياه من لا بد لي ... من امتثال أمره الممتثل
فقلت مع عجزي ومع إشفاقي ... معتمدا على القدير الباقي

مقدمة

اعلم بأن الله جل وعلا ... لم يترك الخلق سدى وهملا
بل خلق الخلق ليعبدوه ... وبالإلهية يفردوه
أخرج فيما قد مضى من ظهر ... آدم ذريته كالذر
وأخذ العهد عليهم أنه ... لا رب معبود بحق غيره

فصل في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين وبيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة

أول واجب على العبيد ... معرفة الرحمن بالتوحيد
إذ هو من كل الأوامر أعظم ... وهو نوعان أيا من يفهم
إثبات ذات الرب جل وعلا ... أسمائه الحسنى صفاته العلى
وأنه الرب الجليل الأكبر ... الخالق البارئ والمصور
باري البرايا منشئ الخلائق ... مبدعهم بلا مثال سابق
الأول المبدي بلا ابتداء ... والآخر الباقي بلا انتهاء
الأحد الفرد القدير الأزلي ... الصمد البر المهيمن العلي
علو قهر وعلو الشان ... جل عن الأضداد والأعوان
كذا له العلو والفوقية ... على عباده بلا كيفية
ومع ذا مطلع إليهم ... بعلمه مهيمن عليهم
وذكره للقرب والمعية ... لم ينف للعلو والفوقية
فإنه العلي في دنوه ... وهو القريب جل في علوه
حي وقيوم فلا ينام ... وجل أن يشبهه الأنام
لا تبلغ الأوهام كنه ذاته ... ولا تكيف الحجا صفاته
باق فلا يفنى ولا يبيد ... ولا يكون غير ما يريد

صورة للصفحة الأخيرة من أصل منظومة (سُلَّم الوصول) بخط الناظم ـ رحمه الله ـ

بايع عنه سيد الأكوان ... بكفه في بيعة الرضوان
والرابع ابن عم خير الرسل ... أعني الإمام الحق ذا القدر العلي
مبيد كل خارجي مارق ... وكل خب رافضي فاسق
من كان للمختار في مكان ... هارون من موسى بلا نكران
فالستة المكملون العشرة ... وسائر الصحب الكرام البررة
وأهل بيت المصطفى الأطهار ... وتابعوه السادة الأخيار
فكلهم في محكم القرآن ... أثنى عليهم خالق الأكوان
في الفتح والحديد والقتال ... وغيرها بأكمل الخصال
كذاك في التوراة والإنجيل ... صفاتهم معلومة التفصيل
وذكرهم في سنة المختار ... قد سار سير الشمس في الأقطار
ثم السكوت واجب عما جرى ... بينهم من فعل ما قد قدرا
فكلهم مجتهد مثاب ... وخطاهم يغفره الوهاب

خاتمة

في التمسك بالكتاب والسنة والرجوع عند الاختلاف إليهما فما خالفهما فهو رد

شرط قبول السعي أن يجتمعا ... فيه إصابة وإخلاص معا
لله رب العرش لا سواه ... موافق الشرع الذي ارتضاه
وكل ما خالف للوحيين ... فإنه رد بغير مين
وكل ما فيه اختلاف نصبا ... فرده إليهما قد وجبا
فالدين إنما أتى بالنقل ... ليس بالأوهام وحدس العقل
ثم إلى هنا قد انتهيت ... وتم ما بجمعه عنيت
سميته بسلم الوصول ... إلى سما مباحث الأصول
والحمد لله على انتهائي ... كما حمدت الله في ابتدائي
أسأله مغفرة الذنوب ... جميعها والستر للعيوب
ثم الصلوة والسلام أبدا ... تغشى الرسول المصطفى محمدا
ثم جميع صحبه والآل ... السادة الأئمة الأبدال
تدوم سرمدا بلا نفاد ... ما جرت الأقلام بالمداد
ثم الدعا وصية القراء ... جميعهم من غير ما استثناء
أبياتها يسر بعد الجمل ... تاريخها الغفران فافهم وادع لي

٢٧٠ ١٣٦٢

صورة للصفحة الأولى من مسوّدة كتاب (معارج القبول) بخط المؤلّف ــ رحمه الله ــ

[illegible] الرحمن الرحيم [illegible]

الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم
يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا الذي لا إله إلا هو ولا رب سواه، المستحق لجميع أنواع العبادة ولذا
قضى أن لا نعبد إلا إياه، ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير
۞ عالم الغيب والشهادة الذي يستوي في علمه ما أسر العبد من نطقه وما أظهر، الذي علم ما كان وما يكون وما لا [illegible]
وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، يعلم ما يلج في
الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها كيف لا وهو الذي خلق وقدر، ألا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير ۞ رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي كتب على نفسه الرحمة و
هو أرحم الراحمين، الذي غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنده على عرشه في الكتاب المبين، الذي
وسعت رحمته كل شيء وبها يتراحم الخلائق بينهم كما ثبت عن سيد المرسلين، فانظر إلى آثار رحمة الله
كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ۞ الملك الحق الذي بيده ملكوت كل
شيء ولا شريك له في ملكه ولا معين، المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزاز والإذلال و
الإحياء والإماتة ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره، ولا
معقب لحكمه ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين، له ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير ۞
القدوس السلام الذي اتصف بصفات الكمال، وتقدس عن كل نقص ومحال، وتعالى عن الأشباه والأمثال
حرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ۞
المؤمن الذي آمن أولياءه من خزي الدنيا ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية، وآتاهم في هذه الدنيا
* حسنة ويسكنهم دار المقامة في جنة عالية، المهيمن الذي شهد على خلقه بأعمالهم وهو القائم على كل
نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافية، إنه بعباده لخبير بصير ۞ العزيز الذي لا يغالب ولا يرام
جنابه، الجبار الذي له مطلق الجبروت والعظمة وهو الذي يجبر كل كسير مما به، المتكبر الذي لا ينبغي
الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه، العظمة إزاره والكبرياء رداؤه فمن نازعه صفة منها أحل به
الغضب والمقت والتدمير ۞ الخالق البارئ المصور لما شاء إذا شاء في أي صورة شاء على أنواع
التصوير، هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير، خلق السموات والأرض
بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير، ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير
۞ الغفار الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا لأتاه بقرابها مغفرة [illegible]
الذي قصم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره، الوهاب الذي كثر موهوبه وأوصل إلى خلقه من فيض
جوده وعطائه أنعامه الزاخرة، الرزاق الذي لا تنفد خزائنه ولم يغض ما في يمينه ما أنفق
منذ خلق السموات والأرض ما انتقص من فضله العزيز، ۞ [illegible]
القوت في الأعضاء بحكمته [illegible] محكما، يرزق من هذه الدنيا من يشاء من [illegible]
[illegible]
[illegible] في هذه الدار [illegible] من الإيمان [illegible] والحكمة

صورة للصفحة الأخيرة من مسوّدة كتاب (معارج القبول) بخط المؤلّف ـ رحمه الله ـ

وهو المراد هنا، وأما إذا أضيفت فهي بحسب المضاف إليه، فأصول الحديث علم الاصطلاح الذي يبحث فيه عن أحوال
السند والمتن وأحكامهما، وأصول الفقه علم يبحث فيه عن الدليل والمدلول وحال المستدل وغير ذلك، وأصول العربية
من نحو الصرف والمعاني والبديع كالتصريف والتعريف في فنه. وقولنا سما مباحث الأصول وصفها بالسمو وهو العلو
إشارة إلى أنها أعلى العلوم وأهمها وأوجبها وألزمها لأنه به تعرف [illegible] خلق الله الخلق ولأجله خلقت الجنة والنار
وأرسل الله الرسل وأنزل الكتب وبه ولأجله شرع الجهاد وعليه [illegible] من أنواع العقاب، ومن لم يحقق علم هذا
قدر أن يكون هو أهم ما يهتم به العبد وأعظم ما يبذل فيه جهده وينفق فيه عمره حتى يلقى الله ويموت على ذلك
وناسب تسمية الشرح بمعارج القبول لأن العروج هو الصعود والمعارج المصاعد [illegible] وهذا الشرح
يصعد في هذا السلم [illegible] المعارج إلى القبول لمناسبة الوصول لأن من لم يقبل لم يصل بل يرد وينقطع
والحمد لله على ختم النعمة التي منها أن قد انتهائي أي إتمام هذا المتن المشتمل على معرفة الله تعالى ودينه
ورسوله صلى الله عليه وسلم كما حمدنا الله تعالى في ابتدائي في نظمه كما تقدم وذلك اقتداء بكلام الله تعالى حيث افتتح
ذكر الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وختم ذكرهم فيما ينتهون إليه من الدارين بالحمد فقال
وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين، وقال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين. وأسأله أي الله
مغفرة أي مغفرته تعالى الذنوب ذنوبي وجميع المسلمين، والمغفرة ستر الذنب في الدنيا والآخرة والعفو عنه
وعدم المؤاخذة به جميعها من صغائر وكبائر، والاستغفار من أعلى أنواع الذكر، والستر من الله تعالى للعيوب
مني ومن جميع المسلمين. ثم عطف على الحمد والاستغفار الصلاة والسلام تقدم معناهما تغشى الرسول المصطفى
محمدا [illegible] ثم تغشى جميع صحبه والآل تقدم تعريفهما السادة جمع سيد وهو [illegible]
المقدم والأئمة المقتدى بهم في الدين [illegible] أي الأولياء لله تعالى تدوم متواصلة متواترة سرمدا تأكيد
للدوام يعني بلا نفاد ولا فناء ولا انقطاع ما جرت الأقلام بالمداد أي عدد ما جرت به ثم الدعاء لجامع هذا
العقد متنا وشرحا ووصيته منه [illegible] من القراء بدعوة بخيري الدنيا والآخرة جميعهم شاهدهم و
غائبهم معاصريه ومن يأتي بعد عصره من غيرهما صلة أي من غير استثناء [illegible]
أبياتها أي عدتها رمز حروف يسر وذلك مائتان وسبعون وبما زادت [illegible] أبياتا المقصود
أي الذي فيه الأحكام والمسائل اليسر واعقل عني تاريخها الذي ألفت فيه رمز حروف الغفران و
ذلك ألف وثلاثمائة واثنان وستون أي عام [illegible] نسأل الله الغفران [illegible] المعتقد وادع لي بصالح
الدعوات في أوقات الإجابة كما وصيتك فإن ذلك من أعظم الصدقات وإن الله يجزي المتصدقين
اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا بديع السماوات والأرض برحمتك نستغيث، اللهم رحمتك نرجو فلا
تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين
اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا فاغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم، اللهم
ما كان في هذا السفر من حق وصواب فبتعليمك وإلهامك وفضلك وإنعامك أنت أهله ووليه فلك الحمد يا أهل [illegible]
فانفعنا اللهم بنفعه وارزقنا العمل بما علمتنا وجميع المسلمين، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان [illegible]
[illegible] وأعذني من شر نفسي وقيض له من يصلحه ويسد خلله، وأعذني أن تعمى بصيرتي عن صراطك المستقيم أو يضل
بخطئي أحد من عبادك واغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد عبدك ورسولك سيد الأولين والآخرين وخاتم
الأنبياء والمرسلين وقائد الغر المحجلين وعلى آله وأصحابه وأهل بيته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
وعنا معهم بفضلك ورحمتك ولوالدينا وإخواننا وجميع المسلمين آمين.
وكان الفراغ من تسويده يوم الاثنين بعد صلاة العصر بتاريخ

[illegible]

ـ ٢ ـ

«معارج القبول، بشرح سلّم الوصول إلى علم الأصول» في التوحيد

هذا الكتاب شرح مطوّل لأرجوزة (سلم الوصول) المتقدم ذكرها ـ انتهى من تسويده في سنة ١٣٦٦هـ، فهو يقول في خاتمته: «وكان الفراغ من تسويده نهار الاثنين بعد صلاة العصر السادس عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ للهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم»، ويقع هذا الكتاب في مجلدين كبيرين تصل صفحاتهما في الطبعة الأخيرة إلى تسعمائة صفحة.

وهذا الكتاب أهم آثار الشيخ ـ رحمه الله ـ وأشهرها، يتمتع الآن بقيمة علمية كبيرة بين طلاب العلم، وقد دأبت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد على توزيعه مجاناً، لما فيه من فوائد عظيمة، ومعلومات قيّمة، ولاستيفائه لكثير من نصوص الكتاب والسنّة وأقوال السلف الصالح.

مقدمة له بهذا القول: «وبعد: فيسر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد أن تقدم لطلبة العلم في كل مكان هذه الطبعة الجديدة من كتاب (معارج القبول، بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد)، تأليف الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ـ رحمه الله ـ

وهو كتاب قيّم جامع نافع جعله مؤلفه شرحاً لمتن له سابق، بيّن فيه العقيدة الصحيحة في أصول الدين متّبعاً في ذلك طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم، سالكاً فيه طريق الحق وهو الاعتماد على الأدلة الواضحة من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة ومن تبعهم بإحسان، مجتنباً فلسفة المتكلمين وجدلهم.. وقد ضمّ إلى ذلك بيان مسائل نافعة تتضمن التنبيه على ما افتتن به العامة والجهلة في بعض بلاد المسلمين من عبادة الأشجار والأحجار والقبور ومناقضتهم التوحيد بالشرك الذي هو أقبح المحظور وصرف جلّ العبادة لغير الله من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والنذر.

وفي رسالة بعثها أحد المفكرين الإسلاميين[1] إلى الشيخ حافظ يقول: فيها: «إن كتاب» «معارج القبول» لو أني اطلعت عليه وليس عليه اسمكم لظننت أنه من مؤلفات الإمام شمس الدين ابن القيّم أو من هو في طبقته من الأعلام، لأنه ما تعرّض لموضوع إلاَّ استوفى فيه نصوصه من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ بما لا يدع زيادة لمستزيد، والأرجوزة (المتن)، مع أن موضوعها علمي فإنها في منتهى السلاسة والسهولة والوضوح، فكل كلمة منها محكمة في موضوعها بغير حشو مما يكثر في الأراجيز العلمية الأخرى فجزاكم الله عن طريقة السلف خير ما يجزي العلماء الذين ساروا على الواضحة التي كان عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين».

فغدا هذا الكتاب مرجعاً في بابه يوضح لقارئه سبيل الهداية والصواب ويحذره دروب الغواية والضلال...

(١) الأستاذ محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ أرسلها في ٧ شوال سنة ١٣٧٧هـ، وهذه الرسالة لدى الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي.

فجزى الله مؤلفه خير الجزاء وكتب له أجره ومثل أجر من انتفع به إلى يوم القيامة إنه سميع قريب[1].

وهذا الكتاب شرح لأرجوزة سلم الوصول كما أشرت سابقاً فهو يقول: «وقد سألني من لا تسعني مخالفته من المحبين أن أنظم مختصراً يسهل حفظه على الطالبين، ويقرب مناله للراغبين، ويفصح عن عقيدة السلف الصالح وتبين ــ إلى أن يقول ــ فيسّر الله تعالى ذلك بمنّه وإفضاله، وأعانني وله الحمد والمنّة على إكماله».

وبعد أن ذاع بأيدي طلاب العلم، واستحسنه من اطلع على هذه المنظومة حيث يقول: «طلب مني أن أعلق عليه تعليقاً لطيفاً، يحل مشكله ويفصل مجمله، مقتصراً على ذكر الدليل ومدلوله، من كلام الله تعالى وكلام رسوله، فاستخرت الله تعالى بعلمه واستقدرته بقدرته، فعنّ لي أن أعزم على ذلك الأمر المسؤول مستمداً من الله تعالى الإعانة على نيل السول، وسميته (معارج القبول، بشرح سلم الوصول، إلى علم الأصول)، والله أسأل أن يعين على إكماله بمنّه وفضله، وأن ينفعني وطلاب العلم به وبأصله، وأن يهدينا الصراط المستقيم، ويجعلنا من أنصار التوحيد وأهله، إنه سميع قريب مجيب، وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم[2].

وفي فاتحة كتابه ــ رحمه الله ــ ينادي عباد الله المؤمنين رحمة بهم إلى أن يعرفوا غايتهم في هذه الحياة وما هو المؤدي لسعادتهم في الدنيا والآخرة حيث يقول:

---

(١) مقدمة معارج القبول. مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ج ١.

(٢) معارج القبول، ط ٣، ج ١، ص ١٤ ــ ١٥.

«اعلموا رحمكم الله أنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة في الدارين ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلاَّ بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله عزّ وجلّ له وأخذ عليهم الميثاق به، وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، وذلك الأمر هو معرفة الله عزّ وجلّ بإلّهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك، ومعرفة ما يناقضه أو بعضه من الشرك والتعطيل والتشبيه واجتناب ذلك، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرّه، وتوحيد الطريق إلى الله عزّ وجلّ بمتابعة كتابه ورسوله والعمل على وفق ما شرعه الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ، ومعرفة ما يناقضها من البدع المضلّة، ويميل بالعبد عنها فيجانبها كل المجانبة ويعوذ بالله منها، فإن الله تعالى أنزل كتابه تبياناً لكل شيء وتفصيل كل شيء»[1].

وسنتناول بعضاً مما جاء في هذا الشرح:

ففي تعريفه للعبادة: يقول: (ثم العبادة) التي خلق الله لها الخلق وأخذ بها عليهم الميثاق، وأرسل بها رسله وأنزل كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنَّة والنّار (هي اسم جامع لكل ما يرضي الإلّه السامع) وهو الله عزّ وجلّ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فالظاهرة كالتلفظ بالشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد في سبيل الله

(١) معارج القبول، ط ٣، ج ١، ص ٩ ــ ١٠.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف، ونصر المظلوم، وتعليم الناس الخير والدعوة إلى الله عزّ وجلّ وغير ذلك، والباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه، وخشية الله وخوفه، ورجائه والتوكل عليه والرغبة والرهبة إليه، والاستعانة به، والحب والبغض في الله والموالاة والمعاداة فيه، وغير ذلك، ثم اعلم أنها لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب.

ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذّل ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال من قال من السلف:

من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق[١]، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء[٢]، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري[٣]، ومن عبده بالحب والخوف والرّجاء فهو مؤمن موحد[٤].

فبيّن ـ رحمه الله ـ أن حياة العبد لا بد وأن يصرفها كلها لله وحده:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[٥].

ولابن تيمية ـ رحمه الله ـ حول هذا كلام فهو يقول:

«ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات، إلاَّ بأن يكون الله هو

(١) الزنديق: هو ممن يبطن الكفر ويظهر الإيمان مع الدّس الخفي.

(٢) المرجئة: قوم يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

(٣) الحرورية: هم الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه من جيشه بسبب التحكيم، وحاربوه عند قرية اسمها (حروراء) في العراق.

(٤) انظر: معارج القبول، ط ٣، ج ١، ص ٢٨٧.

(٥) سورة الأنعام: آية ١٦٢ ـ ١٦٣.

مولاه الذي لا يعبد إلاَّ إياه، ولا يستعين إلاَّ به، ولا يتوكل إلاَّ عليه، ولا يفرح إلاَّ بما يحبه ويرضاه، ولا يكره إلاَّ ما يبغضه الرّب ويكرهه، ولا يوالي إلاَّ من والاه الله، ولا يعادي إلاَّ من عاداه الله، ولا يحب إلاَّ الله، ولا يبغض شيئاً إلاَّ لله، ولا يعطى إلاَّ لله ولا يمنع إلاَّ لله، فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات، وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الكبر والشرك»[١] .

والدعوة إلى عبادة الله وإفراده وتوحيده بأسمائه وصفاته هي أهم عمل قام به الرسل وقام به أتباعهم من الصديقين والعلماء الصالحين، والشيخ الحكمي وهو من أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتتلمذ على كتب شيخ الإسلام ابن تيميّة وابن القيّم ــ رحمهم الله جميعاً ــ كان من الدعاة إلى توحيد الله في العبادة وتوحيد أسمائه وصفاته، مع الاستدلال على ذلك من الكتاب والسنّة.

وسأذكر بعض ما ذكره في كتاب معارج القبول يشهد على صحة ما ذكرناه فهو يقول:

(أول واجب) فرضه الله عزّ وجلّ (على العبيد) هو معرفة الرحمن أي معرفتهم إيّاه (بالتوحيد) الذي خلقهم له وأخذ عليهم الميثاق به، ثم فطرهم شاهدين مقرين به، ثم أرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم (إذ) حرف تعليل لأولية وجوب معرفة العباد ربهم تبارك وتعالى بالتوحيد (هو من كل الأوامر) جمع أمر هو خطاب الله عزّ وجلّ المتعلق بالمكلفين بصيغة تستدعي الفعل (أعظم) كما أن ضده من الشرك والتعطيل والتمثيل هو أعظم المناهي، ولهذا لا يدخل العبد في الإسلام إلاَّ به، ولا يخلد في النار

---

(١) كتاب العبودية، لابن تيمية، ط ٥، ص ١١٤ .

ويحرم الجنّة إلاَّ بضده، ولم تدع الرسل إلى شيء قبله ولم تنه عن شيء قبل ضده (وهو) أي التوحيد (نوعان): الأول التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله عزّ وجلّ وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

والثاني التوحيد الطلبي القصدي الإرادي وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به رباً وإلّهاً وولياً وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء وهو توحيد الإلّهية.

والقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير هذين التوحيدين لأنه إما خبر عن الله عزّ وجلّ وما يحب أن يوصف به وما يجب أن ينزه عنه، وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الطلبي الإرادي. إلى أن يقول:

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، اقرأ في الجمع بين التوحيد آية الكرسي وقل هو الله أحد وغيرها من القرآن[(١)] ، واقرأ في الأمر والنهي:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[(٢)] . .

واقرأ في إكرام أهل التوحيد في الدنيا والآخرة:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[(٣)] .

---

(١) انظر معارج القبول، ط ٣، ج ١، ص ٥٧ ــ ٥٨.

(٢) سورة الحشر: آية ٧.

(٣) سورة غافر: آية ٥١.

وفي فصل من الفصول يبيّن الركن الأساسي من أركان الإسلام وأن الله لا يقبل من إنسان أي عمل حتى ينطق بها وهي الشهادتان فهو يقول:

(أولها) أول هذه الأركان (الركن الأساسي الأعظم) فقيل لهذه الخمسة الأمور أركان ودعائم لقوله ﷺ: «بُني الإسلام على خمس»، فشبه الإنسان بالبنيان المركب على خمس دعائم وهذا الركن هو أصل الأركان الباقية ولهذا قلنا (الأساس) الذي لا يقوم البناء إلاَّ عليه ولا يمكن إلاَّ به ولا يحصل بدونه (الأعظم) هذه الصيغة مشعرة بتعظيم بقية الأركان وإنما هذا أعظمها، فإنها كلها تابعة له، ولا يدخل العبد في شيء من الشريعة إلاَّ به (وهو الصراط) الطريق الواضح (المستقيم) الذي لا اعوجاج فيه ولا غبار عليه بل هو معتدل جلي نيّر.

(الأقوم) أي الأعدل، من سلكه أوصله إلى جنّات النعيم، ومن انحرف عنه هوى في قعر الجحيم، فإن من لم يثبت عليه في الدنيا لم يثبت على جسر جهنّم يوم القيامة، وذلك الركن المشار إليه هو (ركن الشهادتين) هذا من إضافة الشيء إلى نفسه أي الركن الذي هو الشهادتان، هما شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، فلا يدخل العبد في الإسلام إلاَّ بهما، ولا يخرج منه إلاَّ بمناقضتهما، إما بجحود لما دلتا عليه أو باستكبار عما استلزمتاه، ولهذا لم يدع الرسول ﷺ إلى شيء قبلهما، ولم يقبل الله تعالى ولا رسول الله ﷺ من أحد شيئاً دونهما إلى أن يقول: (فاثبت) أيها العبد المريد بنجاة نفسه من النار والفوز بالجنة على هذا الصراط المستقيم النيّر الواضح الجلي ولا تستوحش من قلة السالكين، وإياك أن تنحرف عنه فتهلك مع الهالكين[١] .

---

(١) انظر معارج القبول، ج ٢، ط ٣، ص ٣٣ ـ ٣٤.

ذكرت هذا فقط كأنموذج من دعوته إلى العقيدة الصحيحة وإلاَّ لو ذكرت أكثر من ذلك لضاق البحث ولتجاوز الغرض المقصود منه وإنما تناولت هذا الجانب الدعوي عنده بإيجاز شديد، فعالج في هذا الكتاب العظيم القدر ضلالات المذاهب القديمة والحديثة وفق العقيدة السلفية الصحيحة، ومزج العقيدة بالتشريع، والإيمان بالعمل، فطال نَفَسه ـ رحمه الله ـ في هذا الجانب بعاطفة دينية صادقة، وفؤاد ممزَّق على واقع أمته، وما وصلت إليه من تفكك وانحطاط، بسبب بعدها عن روح العقيدة الصحيحة من مصدرها الكتاب والسنّة.

ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً ومنهجاً في العقيدة السليمة لأصحاب الدراسات والبحوث، كما أن كثيراً من علمائنا الأجلاء يوصون بقراءته وفهمه[1]، لما يحويه من الحصيلة العلمية والتوجيهات السامية.

• • •

(١) من هؤلاء سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز. سبقت ترجمته.
والشيخ أبو بكر جابر الجزائري، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، فقد اتصلت به في يوم الأربعاء ٢٨/١٢/١٤٠٦هـ. فقال لي إني قرأته في إحدى حلقاتي مع طلابي فهو مفيد ونافع.

ـ ٣ ـ

«أعلام السنّة المنشورة
لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة»

كتاب مؤلف على طريقة السؤال والجواب، انتهى من تسويده في غرّة شعبان سنة ١٣٦٥هـ، ويقع في ٩٩ صفحة كما في طبعة رئاسة البحوث العلمية مقدمة له وقد جاء في هذه المقدمة:

يسر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد أن تقدم إلى طلبة العلم في كل مكان هذه الرسالة التي تضمنت إيضاحاً مبسطاً لجميع حقائق العقيدة الإسلامية على الوجه الصحيح الموافق لمذهب السلف الصالح على طريقة السؤال والجواب تسهيلاً للمبتدئين من طلاب العلم وتقريباً لهذه الحقائق إلى أذهانهم مع سهولة في الأسلوب وغزارة في العلم.

والله نسأل أن ينفع بهذه الرسالة قارئيها، وأن يسلك بهم طريق الهداية والرشاد.

والموضوع الذي يبحث فيه هذا الكتاب كما يقول عنه مؤلّفه: «أما بعد فهذا مختصر جليل نافع، عظيم الفائدة جمّ المنافع يشتمل على قواعد الدين، ويتضمن أصول التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب

ولا نجاة لمن بغيره يدين، ويدل ويرشد إلى سلوك المحجة البيضاء ومنهج الحق المستبين، شرحت فيه أمور الإيمان وخصاله، وما يزيل جميعه أو ينافي كماله، وذكرت فيه كل مسألة مصحوبة بدليلها، ليتضح أمرها وتنجلي حقيقتها ويبين سبيلها واقتصرت فيه على مذهب أهل السنّة والاتباع وأهملت أقوال أهل الأهواء والابتداع، إذ هي لا تذكر إلاَّ للرد عليها، وإرسال سهام السنّة عليها، وقد تصدى لكشف عوارها الأئمة الأجلة، وصنّفوا في ردها وإبعادها المصنفات المستقلة، مع أن الضد يعرف بضده ويخْرج بتعريف ضابطه وحدِّه، فإذا طلعت الشمس لم يفتقر النهار إلى استدلال، وإذا استبان الحق واتضح فما بعده إلاَّ الضلال ورتبته على طريقة السؤال ليستيقظ الطالب وينتبه، ثم أردفه بالجواب الذي يتضح الأمر به ولا يشتبه وسميته:

(أعلام السنّة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) والله أسأل أن يجعله ابتغاء وجهه الأعلى وأن ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ما ينفعنا نعمة منه وفضلاً إنه على كل شيء قدير وبعباده لطيف خبير، وإليه المرجع والمصير وهو مولانا فنعم المولى ونعم النصير(١).

وهو بهذا الكتاب يلقن أصول العقيدة للعامة وغيرهم على طريقة السؤال والجواب بالدليل بعد توضيح المعنى، فكل جواب مصحوب بالاستدلال، وهاك نموذجاً على ذلك:

سؤال : ما أول ما يجب على العباد؟

جواب : أول ما يجب على العباد معرفة الأمر الذي خلقهم الله له وأخذ عليهم الميثاق به وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم،

---

(١) أعلام السنّة، ط ٣، ص ٧ ــ ٨.

ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة وعلى حسبه تقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور[١] .

سؤال : كم شروط العبادة؟

جواب : ثلاثة. الأول صدق العزيمة وهو شرط في وجودها، والثاني إخلاص النية، والثالث موافقة الشرع الذي أمر الله تعالى أن لا يدان إلاَّ به وهما شرطان في قبولها.

سؤال : ما معنى التمسك بالكتاب والقيام بحقه؟

جواب : حفظه وتلاوته والقيام به آناء الليل والنهار وتدبر آياته وإحلال حلاله، وتحريم حرامه والانقياد لأوامره والانزجار بزواجره، والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والوقوف عند حدوده والذب عنه لتحريف المغالين وانتحال المبطلين، والنصيحة له بكل معانيها والدعوة إلى ذلك على بصيرة[٢] .

كما في قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ... ﴾ الآية[٣] .

سؤال

---

(١) كتاب أعلام السنَّة المنشورة ط ٣، ص ٩.
(٢) راجع كتاب أعلام السنَّة، ط ٣، ص ٣٦.
(٣) سورة النحل: آية ١٢٥.

: ما هو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله تعالى بسلوكه ونهانا عن اتباع غيره؟

جواب : هو دين الإسلام الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه ولم يقبل من أحد سواه ولا ينجو إلاَّ من سلكه ومن سلك غيره تشعبت عليه الطرق وتفرقت به السبل. قال الله تعالى:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ...﴾[1] .

إلى آخر الجواب[2] .

سؤال : بماذا يتأتى سلوكه والسلامة من الانحراف عنه؟[3] .

جواب : لا يحصل ذلك إلاَّ بالتمسك بالكتاب والسنّة والسير بسيرهما والوقوف عند حدودهما وبذلك يحصل تجريد التوحيد لله وتجريد المتابعة للرسول ﷺ:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾[4] .

إلى آخر الجواب[5] .

سؤال : على من يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما مراتبه؟

جواب : قال الله عزّ وجلّ:

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٥٣.

(٢) راجع كتاب أعلام السنّة، ط ٣، ص ٨٧.

(٣) يقصد بذلك الصراط المستقيم.

(٤) سورة النساء: آية ٦٩.

(٥) راجع أعلام السنّة، ط ٣، ص ٨٨.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1].

وقال النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». رواه مسلم. وفي هذا الباب من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما لا يحصى وكلها تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل من رآه لا يسقط عنه إلاَّ أن يقوم به غيره كل بحسبه وكل ما كان العبد على ذلك أقدر وبه أعلم كان عليه أوجب وله ألزم ولم ينج عند نزول العذاب بأهل المعاصي إلاَّ الناهون عنها، وقد أفردنا هذه المسألة برسالة بها وافية ولطالبي الحق[2] كافية ولله الحمد والمنّة[3].

* * *

لعل ما أوردناه من نماذج من هذا الكتاب كاف وموضح لقيمة المادة العلمية والدعوية التي انبعثت من قلب الحكمي ــ رحمه الله ــ براءة للذمة عن كتم العلم ودعوة لغيره من الناس كي يسيروا على منهج الإسلام الصحيح. ويقوموا بأداء واجبهم وأمانتهم نحو رسالة هذا الدين العظيم.

• • •

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٤.

(٢) لعل هذه الرسالة من ضمن مؤلفاته التي لم يعثر عليها.

(٣) راجع كتاب أعلام السنّة، ط ٣، ص ٩٧ ــ ٩٨.

ـ ٤ ـ

«الجوهرة الفريدة، في تحقيق العقيدة»

منظومة دالية، تحتوي على تسعة عشر صفحة وطبعت عدة طبعات ونفذت، يدعو في هذه المنظومة العلمية إلى الاعتصام بحبل الله المتين والالتزام بعرى الإسلام مع شرح لها، ويحذر فيها من الاغترار بالمبتدعة وافتراءاتهم، ثم بيَّن فيها أركان الإيمان مع بيان نواقضها والتحذير من ذلك، ثم يرغب الإنسان في التوبة إلى الله، وبيّن شروطها المقبولة والمعتبرة، وأيضاً يحذّر من المجلات التي تدعوا إلى فساد الأخلاق والعادات، وتقلب الفطر السليمة إلى أن تكون سيئة تكره ما يخالف شهواتها ورغباتها.

وأيضاً يبيّن في هذه المنظومة ـ رحمه الله ـ وجوب النصيحة في الدين فهو يقول:

ثم النصيحة قل فرض بكل معا   نيها هي الدين فاعلم إذ هي العمد
للّه والرسل والقرآن ثم ولا   ة الأمر ثم عموم المسلمين هدوا
والأمر بالمعروف مع علم به ولعفـ   ـو خذ وأعرض عن الجهال يتئدوا
كذلك النهي عن نكر ومورده   قول فسخطاً إذا لم تستطعه يد[1]

(١) انظر الجوهرة الفريدة، ط ١، ص ١٦ ـ ١٧.

وهذه المنظومة طابعها الأسلوب العلمي الدعوى مما يجعل طالب العلم يهتم بحفظها كما هو الحاصل ممن اطلع عليها[١] .

• • •

(١) أخبرني بذلك بعض تلامذته منهم: محمد يحيى فقيه الحكمي وغيره.

ـ ٥ ـ

«دليل أرباب الفلاح، لتحقيق فن الاصطلاح»

كتاب جليل حافل في علم مصطلح الحديث، ظهرت طبعته الأولى في مكة المكرمة سنة ١٣٧٤هـ ويحتوي على (١٧٤) صفحة، يقول في خطبة الكتاب بعد حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة والسلام على نبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن أشرف العلوم بعد القرآن العظيم وأعلاها، وأحقها بالبحث والتحقيق وأولاها، علم السنّة النبوية والآثار المصطفوية التي هي موضحة للقرآن ومبيّنة له ودالة عليه، ومفصلة لمجمله، وحالّة لمشكله وهادية إليه، ولا يتضح هذا العلم غاية الاتضاح إلاَّ بتحقيق فن الاصطلاح، الذي هو الآلة المعينة على تحليله، والدليل المرشد إلى سبيله، فلا وصول إليه إلاَّ بتحقيقه، ولا سبيل إليه إلاَّ من طريقه، ومن رغب عن هذا الفن الجليل، فقد حرم معرفة المدلول والدليل، وفاته خير كثير وفضل جزيل، وقد جمعت في ذلك جملة مفيدة، ونبذ فريدة، تشتمل على المهم من ذلك، وتدل الطالب الرّاغب في تلك المسالك وإن كنت لقصر باعي وقلّة اطلاعي

لست من فرسان هذا الشأن، ولا ممن يجول في هذا الميدان، ممن خاضوا غماره، وجمعوا صغاره وكباره، ولكني أحببت أن أقدح معهم بزند وأرقى بسهم، وأستضيء بنور ما اقتبسوا، وأقتطف من ثمار ما غرسوا، وأنقل ذلك من كتبهم، وأقفوا أثرهم تشبهاً بهم فمن تشبه بقوم فهو منهم، فرحمهم الله ورضي عنهم، وجعلته على طريقة السؤال والجواب، ليكون أقرب لفهم الطلاب، راجياً من الله جزيل الثواب، وأن يهب لي من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.

وافتتحته بمقدمة تفصح عن تعريف هذا الفن رواية ودراية وما في ذلك من التصانيف المشهورة، وختمته بخاتمة تشتمل على فوائد منشورة وسميته:

«دليل أرباب الفلاح، لتحقيق فن الاصطلاح».

«لنسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا كلها صالحة ولوجهه خالصة وأن لا يجعل لأحد فيها شيئاً إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير»[١].

ويقول ــ رحمه الله ــ «واعلم أن هذا العلم بحر لا ساحل له، وهو أنواع كثيرة وقد صنّف في كل نوع مصنفات مستقلة، ولم يحيطوا به»، إلى أن يقول:

«وهذا أوان الدخول من أبوابه والخوض في عبابه، والله المستعان وبه التوفيق وعليه التّكلان ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم»[٢].

---

(١) أخذاً من قول عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ : «اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً».
انظر كتاب العبودية، لابن تيمية، ط ٥، ص ٧٦.

(٢) انظر دليل أرباب الفلاح، ط ١، ص ١٠.

ونأخذ من هذا الكتاب أحد الأسئلة الذي يقول:

ـ ما الآداب التي يشترك فيها الشيخ والطالب؟ والتي ينفرد فيها كل واحد منهما؟

ـ فيجيب الشيخ رحمه الله ويقول:

يشتركان في تصحيح النية وبذل النصيحة للمسلمين، بأن يكون طلبه الحديث للعمل به ونشره بين المسلمين والتطهير من أغراض الدنيا وتحسين الحال، وينفرد الشيخ بأن يسمعَ إذ احتيج إليه ولا يحدث ببلد فيه أولى منه بل يرشد إليه، كذا قال الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ .

«قلت لعل هذا باعتبار الأولوية وإلاَّ فقد حدث جماعة من التابعين بحضرة الأكابر من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بل أفتوا ولم ينكر ذلك عليهم. . قال: ولا يترك إسماع أحد لنية فاسدة، وأن يتطهر ويجلس بوقار ولا يحدث قائماً ولا عجلاً ولا في طريق إلاَّ إن اضطر إلى ذلك وأن يمسك عن الحديث إذا خشي التغير أو النسيان لمرض أو هرم وإذا اتخذ مجلس الإملاء أن يكون له مستمل يقظ.

قلت: وأن يستنصت الطلبة فإن رفع أحد صوته زجره. لقوله الله عزّ وجلّ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ. . . ﴾ الآية[1] .

فإن رفع الصوت على حديثه ﷺ كرفعه على صوته إذ هو المشروع وهذا تشريعه.

قال: وينفرد الطالب بأن يوقر الشيخ ولا يضجره، ويرشد غيره لما

---

(١) سورة الحجرات: آية ٢.

سمعه ولا يدع الاستفادة لحياء أو تكبر ويكتب ما سمعه تاماً ويعتني بالتقييد والضبط ويذاكر بمحفوظه ليرسخ في ذهنه». اهـ.

يعني أنه بعد حفظ الحديث يطلب معرفة رجاله ولطائف أستاذه ودرجته من الصحة والنحو وفقهه ولغته ونحوه[١].

وفي سؤال آخر: هل تكون رواية الصحابي المتأخر الإسلام ناسخة لرواية الصحابي المتقدم الإسلام؟

وجوابه: يتجه فيه النسخ بشرطين: الأول: أن يكون الصحابي المتأخر الإسلام صرّح بالسماع من النبي ﷺ فخرج به من لم يصرح بالسماع فإنه محتمل لأن يكون سمعه من صحابي متقدم الإسلام فأرسله، الثاني: أن لا يكون سمع من النبي ﷺ شيئاً قبل إسلامه فخرج بذلك ما إذا سمع من النبي ﷺ قبل إسلامه ثم لما أسلم رواه، فإن ذلك محتمل لتقدم سماعه على الأول فباجتماع هذين الشرطين ينتفي تقدم حديث المتأخر الإسلام عن متقدمه، فيتجه النسخ فيه من قبل التاريخ والله أعلم[٢].

ثم ختم الكتاب ــ رحمه الله ــ بهذا الكلام:

«قال جامعه غفر الله تعالى له: هذا آخر ما يسّر الله عزّ وجلّ جمعه من هذا الفن.

وهو بالنسبة إليه قطرة من بحر، ولكنه يدل على ما وراءه وبالله التوفيق، سبحان ربك رب العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين».

---

(١) انظر دليل أرباب الفلاح، ط ١، ص ١٤٢.

(٢) انظر دليل أرباب الفلاح، ط ١، ص ٤٢ ــ ٤٣.

ـ ٦ ـ

«اللؤلـؤ المكنـون، في أحـوالِ الأسـانيد والمـتون»

انتهى من نظمها في سنة ١٣٦٦هـ، وظهرت طبعتها الأولى بمكة المكرمة، وعدد أبياتها «٣٤٠» بيتاً، وتقع في ١٨ صفحة.

يقول في مقدمتها بعد حمد الله والثناء عليه ثم الصلاة على نبيه ﷺ.

وبعـــد إن أشـــرف العلـــوم ... بعـــد كتـــاب الصمـــد القيـــوم
علـم الحـديـث إذ هـو البيـان ... لمـــا بـــه قـــد أنـــزل القـــرآن
فسنّـة الـرّسـول وحـي ثـانـي ... عليهمـــا قـــل أطلـــق الـــوحيـــان
وإنمـــا طـــريقهـــا الـــروايـــة ... فـــافتقـــر الـــراوي إلـــى الـــدرايـــة
لا سيمـــا بعـــد تظـــاهـــر الفتـــن ... ولبـس إفـك المحـدثيـن بـالسنـن
فقـــام عنـــد ذلـــك الأئمـــة ... بخـدمـة الـديـن ونصـح الأمـة
وخلصـــوا صحيحهـــا مـــن مفتـــرى ... حتـــى صفـــت نقيـــة كمـــا تـــرى
ثـــم إليهـــا قـــرّبـــوا الـــوصـــولا ... لغيـــرهـــم فـــأصلـــوا أصـــولا
ولقّبـــوا ذاك بعلـــم المصطلـــح ... حيـث عليهـا الكـل منهـم اصطلـح
وزاد مـــن جـــاء بعـــدهـــم عليهـــا ... بحســـب احتيـــاجهـــم إليهـــا
وكـــل بحـــث أهـــل هـــذا الفـــن ... فـــي حـــال إسنـــاد وحـــال المتـــن

عنوا بالإسناد الطريق الموصلة   للمتن عمن قاله أو فعله
والمتن ما إليه ينتهي السند   من الكلام والحديث ما ورد
عن النبي وقد يقولون الخبر   لما أتى عن غيره كذا الأثر
وهاك تلخيص أصول نافعة   لحل ما قد أصلوه جامعة
ولتحفظ الأنواع منه مجملة   من قبل أن تخوضها مفصلة

ثم شرع في إيضاح أنواع هذا العلم الجليل وتفصيله من انقسام الخبر وشروط الصحيح، وما يتبع ذلك من أنواع.

ثم بعد ذلك شروط العدالة والضبط ثم أنواع المراسيل ثم المرفوع، والموقوف، والمقطوع، وما يتبع ذلك من أنواع فقد رمى بزند مع علماء الحديث بتوضيح المشكل وتقريب الفهم لطلاب العلم في هذا الميدان[1] .

• • •

(١) نظم اللؤلؤ المكنون، ط ١، ص ٢ ــ ٢٨.

ـ ٧ ـ

«السبل السوية لفقه السنن المروية»

هذا الكتاب يبحث في فقه السّنة وفروعها مع الإشارة إلى ما اختلف فيه العلماء ـ رحمهم الله ـ، وبيان الراجح مع الاستدلال على ذلك، ويحتوي على مائة وعشر صفحات كما في الطبعة الثالثة ولقد تولت إدارة البحوث طبع هذه الأرجوزة لما تحتويه من فوائد قائلة: «يسرّ رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إعادة طبع ونشر كتاب (السبل السوية لفقه السنن المروية) لناظمه فضيلة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ـ رحمه الله ـ وهو كتاب قيّم نافع نظمه مؤلفه بأسلوب سهل يجمع بين الإيجاز والإحاطة وقد ضمّ فيه مسائل فقه السنّة وفروعها مع الإشارة إلى ما فيها من اختلاف أقوال العلماء وبيان الراجح منها مع التنبيه إلى دليله، بما لا يوجد في مثله بمثل هذا الإيجاز والجمع، مقدماً لهذا الكتاب بهذه المقدمة فهو يقول:

أبدأ باسم خالقي محمدلاً ... محسبلاً مكتفياً محوقلا
والحمد لله الذي قد أنزلا ... كتابه مبيّنا مفصلا
ثم الصلاة مع سلامه على ... رسوله محمد خير الملا
والآل والصحب الكرام الفضلا ... الأنجم الزهر الهداة النبلا
والتابعين السادة الغرّ الألى ... قد نقلوا الدين لنا مكملا
وتابعيهم وكل من تلا ... وكل من عنهم له قد حملا

أزكى صلاة وسلام وبلا   تدوم ما اسود الظلام وانجلى
وبعد فالأدلة الشرعية   في جملة الفرائض الدينية
ينبوعها هو الكتاب المقتفى   وسنّة الهادي الرسول المصطفى
وهذه أرجوزة يسيرة   جامعة لجمل كثيرة
جعلتها إشارة إليها   تدل كل راغب عليها
والله أرجو المنّ بالإكمال   والعون والتسديد في المقال

وبعد هذه المقدمة شرع بكتاب الطهارة، نختار من ذلك باب خصال الفطرة حيث يقول:

عشر من الفطرة نص الأثر   هي السواك ثم قلّم الظفر
وقص شارب مع الإعفاء   للحية كذا انتقاص الماء
والنتف للإبط وحلق فاعلم   لعانة والغسل للبراجم
كذا الختان ثم الاستنشاق مع   مضمضة والشك في الأخرى وقع

ثم شرع بكتاب الزكاة، ثم كتاب الصيام، ثم كتاب الحج[1] . وبعد ذلك يأتي إلى بيان عظم الجهاد في سبيل الله، وثواب المجاهد ومكانته في الإسلام فهو يقول في باب وجوبه وفضله وفضل الشهادة وإخلاص النيّة لإعلاء كلمة الله عزّ وجلّ:

وإن من فرائض الإسلام   بل هو منه ذروة السنام
جهاد من يبغى سواه دنيا   ليرجعوا إليه منقادينا
بالمال والنفس وباللسان   بثابت السنّة والقرآن

إلى أن يقول:

خير من الدنيا وما عليها   يا قوم هل مبادر إليها
وكل من مسّ الغبار قدمه   فيه على الجحيم ربي حرّمه

---

(١) للفائدة راجع كتاب السبل السوية، ط ٣، ص ٥ ــ ٥٢ .

ومـــن فـــواق نـــاقـــة يقـــاتـــل وجـــوب جنّـــة لـــه قـــد نقلـــوا
بـــل هـــي تحـــت الظـــل للسيـــوف وعنـــد الانغمـــاس فـــي الصفـــوف
وفـــي سبيـــل الله يـــوم خيـــر مـــن ألـــف ســـواه وهـــو بـــالفضـــل قمـــن
كـــذاك أيضـــاً فيـــه حـــرس ليلـــة أفضـــل مـــن قيـــام ألـــف ليلـــة
وحـــرس عيـــن فـــي سبيـــل البـــاري لهـــا تقـــاة مـــن عـــذاب النـــار

ثـــم يقـــول:

بهـــا اشتـــرى الله مـــن العبـــاد أنفسهـــم بصـــادق المعـــاد
يـــا حبـــذا السلعـــة والمتـــاع وحبـــذا القيمـــة والمبتـــاع
والشهـــدا أحيـــاء يـــرزقـــونـــا فـــي جنـــة الفـــردوس يســـرحـــونـــا

إلى أن يقول:

وكـــم وعيـــد جـــا علـــى مـــن تـــركـــه بـــل تـــركـــه ملـــق بنـــا للتهلكـــة
وليخلـــص النيـــة لإعـــلاء كلمـــة الله بـــلا ريـــاء
ولا حميّـــة ولا للمغنـــم ولا لأجـــر بـــل لـــوجـــه المنعـــم
وهـــو مكفـــر ذنـــوب العبـــد لا للـــديـــن لا إن كـــان قـــد تحلـــلا
ووالـــد لا بـــد أن يستـــأذنـــا إلّا إذا الجهـــاد قـــد تعينـــا

في هذه المنظومة تتضح دعوة الشيخ ـ رحمه الله ـ للأمة إلى الجهاد وحثها عليه لفضل الشهادة في سبيل الله، ثم بعد ذلك يشرع في الدعوة إلى الآداب التي حث عليها الإسلام كالأخلاق والسلام والاستئذان. . . إلخ[1] .

• • •

(١) انظر كتاب السبل السوية، ط ، ص ٥٢ ـ ١٠٣.

ـ ٨ ـ

«وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول»

منظومة في أصول الفقه، انتهى من كتابتها في سنة ١٣٧٣هـ، وتقع في ستمائة وأربعين بيتاً، ظهرت طبعتها الأولى بمكة المكرمة.

أول هذه المنظومة:

الحمد للعدل الحكيم الباري ... المستعان الواحد القهار
ذي الحكمة البالغة العلّية ... والحجة الدامغة القوية
قضى بكون ما يشاء فأبرمه ... وشرع الشرع لنا وأحكمه
بأنه الرّب بلا منازعة ... وهو الإلّه الحق لاَ نِدَّ معه
فبالقضاء نؤمن والتأله ... بشرعه وعدله وحكمته
أحكم كل الخلق بالإتقان ... والأمر بالعدل وبالإحسان
أحمده والحمد من إنعامه ... إذ ذكرنا إياه من إلهامه
ثم الصلاة والسلام المستمر ... على الذي استقام مثل ما أمر
نبينا محمد والآل ... وصحبه ومن بخير قال
وبعد إن العلم خير مقتنى ... والفقه أولى ما به العبد اعتنى
حض عليه الله والرسول ... في جمل شروحها تطول
فدونه لا يمكن اتباع ... أمر ولا بالعظة انتفاع
من لم يكن يفقه كيف يعمل ... بموجب الأمر الذي لا يعقل

ثم أصول الفقه كليات ثابتة الأساس قطعيات
وها أنا أخرج من منتخبه قواعداً نافعة للمنتبه
تجمع من مقصوده أهمه مع قصر الوقت وضعف الهمه
والله أرجو منه علماً نافعاً إلى عُلَى الدرجات رافعا

هذه المنظومة تحمل الصبغة العلمية الجادة ليس فيها شيء من الحشو الذي لا فائدة فيه.

مثل ذلك حيث يقول تحت هذا العنوان:

«كتاب أصول الأدلة».

أدلة الشرع الشريف أربعة محكم آي سنّة متبعة
والثالث الإجماع حيث ينجلي والرابع القياس واخصص الجلي
لا رأي في الدين ولا استحسانا فالله قد أكمله تبيانا
وما لغير الله حكم أبدا ولا سوى الشرع سبيل للهدى
فالشرك في التشريع منه ينفجر شرك العباد بالعزيز المقتدر

وفي أحد الفصول يبيّن أهمية السؤال لمن كان يجهل وإيضاح ذلك وعدم كتمانه فهو يقول:

وجاهل الحكم الذي يلزمه عليه أن يسأل من يعلمه
ثم على عالمه الإبانة لحكم شرع ربنا سبحانه
فإن يكن يحفظ نص اللفظ في فتياه أداه بلا تصرف
أو لا فبالمعنى وويل من كتم علماً وأخذ سائل به انحتم
وإن يك الحق على سواه فإثمه على الذي أفتاه
وقول لا أعلمه فيما خفي أقرب مخرج من التكلّف

ويختتم هذه المنظومة بقوله:

وتــم ذا النظــم بحمــد البــاري — مــوضحــاً بــأقــرب اختصــار
كــاف عــن البســط الممــل وافــي — يجمــع مــا مــزق فــي أطــرف
فــي جمــل قــريبــة المنــال — منظــومــة كــالعقــد مــن لآلــي
مــا شــانهــا مقــدمــات المنطقــي — ولا تعقــدت بضعــف المنطــق
سميتهــا وسيلــة الحصــول — إلــى المهمــات مــن الأصــول
ثــم انتفــاء نقصنــا محــال — وجــلّ وجــه مــن لــه الكمــال
ثــم الصــلاة منــه والســلام — متصــلاً مــا جــرت الأقــلام
علــى محمــد رســولــه الأميــن — والآل والحمــد لــربّ العــالميــن

وتمتاز هذه المنظومة بالأسلوب العلمي الرصين كما يتضح ذلك من خلال هذه الأبيات المشار إليها.

● ● ●

ـ ٩ ـ
«متن لامية المنسوخ»

منظومة لامية الروي في النسخ وما يدخله من الكتب الفقهية، ظهرت طبعتها الأولى بمكة المكرمة، وتقع في عشر صفحات.

يقول بعد الثناء على الله ثم الصلاة والسلام على رسوله:

وبعد فالعلم بالمنسوخ ذو خطر ... عليه عول في الفقه الألى كملوا
ثم التصانيف في تفصيله كثرت ... لكنما البعض عن مقصوده عدلوا
وأدخلوا النسأ والتخصيص مع خبر ... فيه وأشياء في إدخالها دخل
وقد بدا في تلخيص واضحه ... في جملة جمعت في طيها جمل
ولست أذكر فيها غير راجحه ... إلَّا لرد وتوهين فيعتزل
والكامل الله في ذات وفي صفة ... وناقص الذات لم يكمل له عمل
والله أسأل ألطافاً ومغفرة ... على المعائب والتقصير تشتمل

ثم واصل الحديث ـ رحمه الله ـ حيث ذكر مقدمة في تحديد النسخ وما يدخله، ثم اختار من الكتب الفقهية وشرع في إيضاحها ككتاب الطهارة ثم الصلاة ثم الجنائز ثم كتاب الزكاة إلى أن وصل إلى كتاب الحكم والشهادة، فهو يقول:

وآية احكم أو اعرض قيل قد نسخت ... بقوله وأن احكم فادر ما نقلوا

كـذا شهـادة أهـل الكفـر فـي سفـر ... علـى وصيـة مـن قـد جـاءه الأجـل
فقيـل قـد نسخـت والحـق محكمـة ... فـي حـال فقـد مـن الإسـلام ينتحـل
هذا الذي علم مزجي البضاعة قد ... أدى إليـه فـرفـوراً أن يكـن خلـل
وإنمـــا هـــي أعمـــال بنيتهـــا ... ولـم يفـت ربنـا قـول ولا عمـل
وهـو الرقيب عليها والحسيب بها ... فـي يـوم لا نـافـع مـال ولا خـول
ثـم الصـلاة علـى الهـادي وشيعتـه ... والحمـد لله فـي الـداريـن متصـل

ولهذه اللامية قيمة علمية لتناولها هذا العلم الدقيق، فيستفيد منها طلاب العلم والمتخصصون في هذا المجال، فهو يذكر الراجح من الأقوال في كتب الفقه مع الرد على ما يخالف النص.

• • •

ـ ١٠ ـ

«رسالة النور الفائض، من شمس الوحي في علم الفرائض»

هذه رسالة منثورة تبحث في علم الفرائض تحتوي على ست وأربعين صفحة، ظهرت طبعتها الأولى ونفدت، يقول في مقدمتها.

بعد حمد الله والثناء لما هو أهله، أما بعد:

«فهذه رسالة في علم الفرائض مختصرة دانية القطاف يانعة الثمرة وافية بجمل هذا الفن ومفرداته، جامعة لمتفرقه وشتاته، موضحة لعويصه ومشكلاته، حاوية المهم من أدلته ومستنداته، لم تكن المختصرات بأيسر منها، ولم تفضلها المطولات بزيادة عنها، جمعتها رجاء الثواب ونصحاً للقاصدين مثلي من الطلاب[١]، وسميتها:

«النور الفائض من شمس الوحي في علم الفرائض». أسأل الله أن يجعل ذلك سعياً خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً للفوز لديه بجنات النعيم، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم».

انتهى من تسويدها في خمسة عشر من الشهر الثامن لعام خمسة وستين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية (١٥/ ٨/ ١٣٦٥هـ)، ولاقت

(١) هذه العبارة تدل على تواضعه ـ رحمه الله ـ .

استحسان شيخه والمعاصرين له، وتعتبر مرجعاً في علم الفرائض لما تشتمل عليه من علم.

مثال ذلك في أحد الفصول يقول: «فصل في المفقود».

«إن كان موروثاً فحكمه أن يوقف جميع ماله حتى يتبين موته ببيّنة أو اجتهاد حاكم، وإن كان وارثاً فحكمه كحكم الخنثى، فتجعل للورثة الحاضرين مسألتين:

مسألة باعتبار حياته، وأخرى باعتبار موته ويعاملون بالأضر، ومن كان لا يرث باعتبار حياته لم يعط شيئاً مثال ذلك أختان شقيقتان حاضرتان، وعم حاضر، وأخ شقيق مفقود مسألة حياته من أربعة، ومسألة موته من ثلاثة، الجامعة لها اثنا عشر، والأضر على الأختين والعم حياته فأعطهما اثنين من أربعة في ثلاثة بستة، والمتوقف ستة إن رجع أخذها، وإن بان موته رد منها اثنان على الشقيقتين تكملة لثلثين والباقي للعم»[1].

فصل: فيما إذا مات متوارثان فأكثر في أوان واحد ولم يعلم الأقدم موتاً كأن هلكوا في هدم أو غرق أو حرق، فأرث كل واحد منهم لورثته دون ورثة الآخر وصاروا في حكم الأجانب كما إذا مات الزوجان مثلاً بهذه الصفة ولكل واحد منهما إخوة أو بنون ليسوا من الآخر، فلا توارث بينهما لعدم العلم بالأول موتاً، وصرف إرث كل منهما إلى ورثته المذكورين[2].

• • •

(١) انظر رسالة النور الفائض، ط ١، ص ٤٠ ــ ٤١.

(٢) انظر رسالة النور الفائض من شمس الوحي في علم الفرائض، ط ١، ص ٤١ ــ ٤٢.

ـ ١١ ـ

«نيل السول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ»

هذه منظومة تبحث في التاريخ والسيرة النبوية، تزيد أبياتها عن تسعمائة وخمسين بيتاً، ظهرت طبعتها الأولى بمكة المكرمة، وتقع في اثنتين وخمسين صفحة.

يقول في افتتاحية هذه المنظومة:

الحمـــد لله المهيمـــن الأحـــد ... بـاري البـرايـا الـواحـد الفـرد الصمـد
ذي العـدل والحكمـة فيمـا أبـدعـه ... كمـا هـو الحكيـم فيمـا شـرعـه
لا شـــيء قبلـــه لأوليتـــه ... كـــلا ولا انتهـــاء لآخـــريتـــه
كمـا هـو الظـاهـر فـوق كـل شـيء ... وبـاطـن مـا دونـه يحـول شـيء
يفعـــل مـــا يشـــاء ويختـــار ولا ... يُسْـــأَل جـــلّ الله عمـــا فعـــلا
لـــه جميـع الخلـق والأمـر فـلا ... منـــازعـــاً لـــه تعـــالـــى وعـــلا
أشهـــد أنـــه الإلـــه الحـــق ... ومـــا ســـواه بـــاطـــل لاحـــق
وأن خيـــر خلقـــه محمـــداً ... رســولــه إلــى العبـاد بـالهـدى
عليـــه صلّـــى الله ثـــم سلمـــا ... والآل والصحـــب وتـــابـــع سمـــا
وبعـد فـاعلـم أن أعلـى الـرتـب ... مــرتبـة العلــوم ميــراث النبــي
مــن نبــأ فيمــا مضــى أخبــر بــه ... أو مـا سيـأتـي بعـد فـاحفـظ وانتبـه

أو كــان فــي حكــم عبــادة وفــي ... حكــم الحـلال والحـرام فـاعـرف
وكــان فــي التــاريــخ مــا بــه درى ... مـــوارد الشـــرع مـــع المصـــادر
وأوضــح الطــريــق فــي الــوصــول ... لســابــق مــا جــاء عــن الــرســول
أعنــي بــه نــص الكتــاب المحكــم ... وسنّـــة النبـــي بـــإسنـــاد نمـــى
ومــا يكــن مــن بــدره قــد صــدرا ... فــالنقــل فــي ذلــك قــد تــوّفــرا
وهـــاك نبــذة بهـــا إلـــى المهـــم ... أشيــر فــاستمعــه واحفـظ يـا فهـم
والله أرجـــو المـــنّ بـــالإتمـــام ... فــإنــه ذو الفضــل والإنعــام[1]

ويستعرض في هذه المنظومة ذكر بدء الخلق ثم ذكر ذريّة إبراهيم عليه السلام، ثم أحوال الجاهلية وما كان عليه العرب في زمن الفترة، ثم يأتي إلى سيرة نبينا محمد ﷺ. فيذكر نسبه الشريف المطهر، ثم ذكر مولده ﷺ، وبعد ذلك يواصل الحديث إلى أن يصل إلى جهر النبي ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى، وما ناله من أجل ذلك ومن آمن به ثم يختم هذا الكتاب إلى أن يصل إلى تجهيز النبي ﷺ فهو يقول:

وشـــرعـــو بعـــد بتجهيـــز النبـــي ... وأسنـــد الأمـــر إلـــى الأقـــارب
صلّـــى عليهـــم ربنـــا وسلمـــا ... والآل والصحـب وتـابـع سمـا[2]

• • •

(١) نيل السول، ط ١، ص ٣.
(٢) انظر نيل السول، ط ١، ص ٥١ ــ ٥٢.

ــ ١٢ ــ

«المنظومة الميمية،
في الوصايا والآداب العلمية»

هذه قصيدة ميمية في الحث على طلب العلم والدعوة إلى التمسك بما جاء في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ظهرت طبعتها الأولى بمكة المكرمة وتقع في أربعة عشر صفحة نذكر منها حثه على طلب العلم وأهميته ومكانته في الإسلام فهو يقول:

العلم ميزان شرع الله حيث به ... قوامه وبدون العلم لم يقم
وكلما ذكر السلطان في حجج ... فالعلم لا سلطة الأيدي لمحتكم
فسلطة اليد بالأبدان قاصرة ... تكون بالعدل أو بالظلم والغشم
وسلطة العلم تنقاد القلوب لها ... إلى الهدى وإلى مرضاة ربهم
والسالكون طريق العلم يسلكهم ... إلى الجنان طريقاً بارىء النسم
والسامع العلم والواعي ليحفظه ... مؤدياً ناشراً إياه في الأمم
فيا نضارته إذ كان متصفاً ... بذا بدعوة خير الخلق كلهم
كفاك في فضل أهل العلم أن رفعوا ... من أجله درجات فوق غيرهم

إلى آخر ما قال ــ رحمه الله ــ، ثم يتابع بعد ذلك نبذة في وصية لطالب العلم والواجب عليه تلقاء ذلك من الإخلاص في طلبه والعمل بما

علم والدعوة إليه على هدى وبصيرة، ثم وصية بكتاب الله عزّ وجلّ والاهتمام بتدبره وحفظه والسير على منهجه.

ثم نبذة في وصية للالتزام بالسنّة النبوية والتمشي بهديها، ويعد ذلك في تحصيل ثمرات العلم النافعة واجتناء قطوفه الدانية اليانعة(١).

فهو يبيّن أن الإنسان كلما ازداد من علم نافع حصل له كمال اليقين وكمال الإرادة، ولا تتم سعادة إلاَّ باجتماع هذين الأمرين وبهما تنال، الإمامة في الدين.

قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾(٢).

والعلم لا يثمر إلاَّ القول الحسن، والعمل الصالح.

شرف طالب العلم الشرعي:

وطالب العلم الشرعي له شرف عظيم عند الله سبحانه، وعند النّاس، فالآيات والأحاديث في هذا المجال كثيرة جداً، كما أن هناك مؤلفات خاصة في ذلك(٣)، ولكن المقصود هنا بيان بعض ما أشار إليه الشيخ الحكمي في تفضيل طلب العلم الشرعي ونتيجة ذلك، فيقول ـ رحمه الله ـ:

---

(١) للفائدة ارجع إلى المنظومة الميمية.

(٢) سورة السجدة: آية ٢٤.

(٣) للفائدة ارجع إلى كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ـ رحمه الله ـ وكتاب العلم للحافظ أبي خيثمة زهير النسائي، وكتاب أخلاق العلماء، لمحمد الآجري. وغيرها كثير.

وحاصل العلم ما أملى الصفات له فأصغ سمعك واستنصت إلى كلمي
وذاك لا حفظك الفتيا بأحرفها ولا بتسويدك الأوراق بالحمم
ولا العامة إذ ترخي ذؤابتها تصنعاً وخضاب الشيب بالكتم
ولا بقولك يعني دائباً ونعم كلا ولا حملك الأشعار كالبهم
ولا بحمل شهادات مبهرجة بزخرف القول من نثر ومنتظم
بل خشية الله في سر وفي علن فاعلم هي العلم كل العلم فالتزم
فلتعرف الله ولتذكر تصرفه وما على علمه قد خط بالقلم[1]

وتتجلى همته من خلال هذه المنظومة وإيقاظ الهمم لطلب العلم ونشره والدعوة إليه، وإخلاص النية في طلبه ومتابعة العلم العمل كما كان عليه سلف هذه الأمة.

• • •

(١) المنظومة الميمية.

ـ ١٣ ـ

«نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والشمّة والدّخان»

وقد طبعت عدة طبعات، وتولت رئاسة البحوث طباعتها مقدمة لها بهذه المقدمة:

«يسر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد أن تقدم هذه النصيحة الموجزة إلى كل طالب حق وراغب فيه، وهي تتضمن التحذير من تعاطي بعض الآفات وهي: الدّخان والقات والشمّة المسماة البردقان أو السويكة... وهي آفات قد بيّن الطب ضررها، وأثرها السيِّىء على البدن بما لا يدع مجالاً، للمكابرة والمعاندة[١]».

والشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ نظم هذه القصيدة التائية نصحاً لطلابه ولمجتمعه عن مثل هذه الآفات التي شاعت وانتشرت بين الناس، فاطلع عليها أحد الشعراء المفتونين بهذه الآفات مثيراً بعض الشبهات والاعتراضات حول هذه القصيدة[٢]، فبعد ذلك ناظره الشيخ حافظ ورد عليه بأسلوب مقنع قصده من ذلك النصح والتوجيه كشف فيه ضلالات هذه الفتن وزاد عليها إيضاحاً وبياناً، نذكر منها على سبيل المثال:

---

(١) نفس الرسالة، ط ٣، ص ٣.

(٢) هو الشيخ يحيى بن محمد بن المهدي عافاه الله.

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله يقول:

يا باحثاً عن عفون القات ملتمسا ... تبيانه مع إيجاز العبارات
ليس السماع كرأي العين متضحاً ... فاسأل خبيراً ودع عنك الممارات
كله لما شئت من وهن ومن سلس ... ومن فتور وأسقام وآفات
كله لما شئت من لهو الحديث ومن ... إهلاك مال ومن تضييع أوقات
على العبادة قالوا نستعين به ... فقلت لا بل على ترك العبادات

ثم يقول:

داء عضال ووهن في القوى ولها ... ريح كريه مخل بالمروءات
سألتهم أحلال ذا الشراب لكم ... من طيبات أحلت بالدلالات
أجابني القوم ما حلت ولا حرمت ... فقلت لا بد من إحدى العبارات
أنافع أم مضر بينوه لنا ... قالوا مضر يقيناً لا ممارات
قلنا فلا شك أن الأصل مطرد ... بأنه الحظر في كل المضرات
أليس في آية الأعراف مزدجر[1] ... لطالب الحق من كل الخبيثات
إن تنكروا كون ذا منها فليس لكم ... إلاَّ ببرهان حق واضح ياتي

ثم يقول:

والنهي جاء عن التبذير متضحاً ... وعن إضاعة مال في البطالات
جاءت بذلك آيات مبينة ... مع الأحاديث من أقوى الروايات
فكيف إحراقه بالنّار جاز لكم ... يا قوم هل من مجيب عن سؤالاتي
دع ما يريبك يا ذا اللّب عنك إلى ... ما لا يريبك في كل المهمات

إلى آخر كلامه ــ رحمه الله ــ[2].

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِم الخبَائِثَ﴾. [آية ١٥٧].
(٢) راجع نصيحة الإخوان، ط ٣، ص ٥ ــ ٦.

وناظره أحد المشائخ[1] على هذه الأبيات السالفة نذكر منها:

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله يقول:

خذ الجواب ودع عنك السراب ولا ... تعيب أبناء جنسك بالبذاءات
كف السباب وأقصر في العتاب ودع ... ما ليس يعنيك واجمل في الخطابات

إلى أن يقول:

عتبت لا عن دليل بل مجازفة ... هات الدليل وانصف في الجدالات
أنّى لك اليوم ذا التحريم جئت به ... لقد أسأت بقبح الاعتراضات
إن المعدات في المحظور قد حصرت ... في الذكر والنهي عن خير البريات

إلى أن يقول:

يا حبذا القات ما أحلى مجالسه ... بالذكر شيد لها وحفت بالعبادات
كم صافحته نسيمات الصبا سحراً ... وباكر الظل منه أغصان رطيبات

إلى أن يقول:

هو الحلال لشاربه وبائعه ... والمستطاب لدى أكل ولذات
هو المعين على الأعمال أجمعها ... هو المعين على كل العبادات
كفاك في القات ما أوضحت من كلم ... أما الدخان فمن جنس المباحات[2]

فرد عليه الشيخ حافظ بأسلوب علمي رصين بعيد عن التهجم والتشنيع بل بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، ورد الناصح المشفق على أصحاب هذه الشهوات فهو يقول بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله:

(١) سبقت الإشارة إلى اسمه.

(٢) للاستزادة راجع نصيحة الإخوان، ط ٣، ص ٧ ـ ٨.

يا منكراً حكم ما أمليت في القات وفـي الـدخـان وأنـواع الـدنيئـات
وحـائـراً تـائهـاً قـد قـام منتصـراً بـزعمـه لأسـافيـل البطـالات

إلى أن يقول:

ولـم تمانع حجاجاً في محاورتي ولـم نمـانـع دليـلاً مـن دلالات
ولـم تقيـد مـن البـرهـان مطلقـه ولا أتيـت بتخصيـص العمـومـات
ولا رددت صفـات الـذّم عنـه ولا مـا فيـه بيّنـت مـن نـوع المضـرات
ألا دليـل ألا بـرهـان تـوضحـه ألا نصـوص بهـا قطـع الجـدالات
مجرد القول بالتجهيل ليس هدى ولا اعتمـادك رمـي بـافتـراءات

إلى أن يقول:

فمـا عتـابـي إلاَّ النصـح أخلصـه ولا سبـابـي مـن جنـس البـذاآت
مـا كـان شتمـي إلاَّ مـا أبنـت لكـم مـا فيـه أردع مـن سقـم وآفـات
ومـا يحسـن إهمـال الفضـول لـدى أهـل العقـول وأربـاب الـديـانـات
فـذاك أحكـم قـول لـو عملـت بـه ما كان دعواك في نصر الفضولات

إلى أن يقول:

أما احتجاجك بالأسلاف إذ سكتوا ولـم يقـولـوا بشـيء مـن مقـالاتـي
فحجـة هلكـت فيهـا القـرون فكـم فيهـا تتـابـع أربـاب الضـلالات

إلى أن يقول:

أمـا مقـالـك مـا أحلـى مجـالسـه إلـى أواخـر إمـلاء الـدعـايـات
فليـس مـدحـك أمـراً قـد فتنـت بـه بـرائـح عنـد أربـاب الحقيقـات
أمـا مـدحـت فـإن الخمـر شـاربهـا يقـول أجمـل مما قلـت فـي القـات
فهـل تـرى مـدحهـم فيهـا أحل لهـم شـرابهـا أن هـذا مـن محـالات

إلى أن يقول:

أئمة الدين في إحيائه جهدوا[1] ... ليلاً نهاراً وما احتاجوا إلى القات
وقسموا الليل في تسبيح خالقهم ... وبحث علم وفي أنواع طاعات
فما توانوا ولا ملوا ولا كسلوا ... ولا استعانو بمضغ للنباتات

إلى أن يقول:

أولئكم حفظ الله العظيم بهم ... معالم الشرع من كل النقيضات
ما أبعد الفرق بين القوم في صفة ... وبيننا يا حثالات الحثالات

ثم يقول:

وبان بالنقل والعقل الصحيح ... وبالطب الحديث لنا صدق المقالات
وبان أنك ما خالفت عن نظر ... ولا تبصرت في عقبى المآلات
فهاك رد الذي ألقيت من شبه ... ونقض ما قلته في الانتقادات
على اختصار وإيجاز بلا ملل ... وللنبيه اكتفاء بالإشارات
هذا ولولا اغترار الغافلين بما ... ألقيته ما اشتغلنا بالجوابات
ثم الصلاة على الهادي وتابعه ... والحمد لله في كل المقامات[2]

وهذه النصيحة تشير إلى ما يحمله الشيخ ـ رحمه الله ـ من اهتمام بدعوة غيره وبذل النصح لعامة الناس فضلاً عمن ينتسب إلى العلم منهم كما حصل في هذه المناظرة، وهذا الموضوع قد عالجه العلماء في القديم والحديث ويكفي ما أشار إليه الشيخ من أن الطب الحديث أثبت أضرار هذه

(١) يعني القيام بأنواع الذكر والطاعات.
(٢) للفائدة راجع نصيحة الإخوان، ط ٣، ص ٩ ـ ١٦.

الآفات التي انتشرت في مجتمعات المسلمين فوقعوا في الشهوات والملذات البعيدة عن منهج دينهم.

أسأل الله أن يفتح على قلوب كل من افتتن بمثل هذه الأمراض[1].

• • •

---

(١) للاستزادة يستحب الرجوع إلى حكم شرب الدخان للشيخ عبد الرحمن بن سعدى، وإلى رسالة البيان في أضرار الدخان للشيخ عبد الله القصير من مطبوعات رئاسة البحوث العلمية، وحكم الدخان والشيشة للشيخ محمد بن عثيمين.

ـ ١٤ ـ

قصيدة موضوعها «الترغيب والترهيب»

هي قصيدة طويلة فيها ترغيب وترهيب وحث على التعلّق بالآخرة والزهد في الدنيا يقول فيها ـ رحمه الله تعالى ـ .

ومـا لـي وللـدنيـا وليسـت ببغيتـي ... ولا منتهـى قصـدي ولسـت أنـالهـا
ولســت بميّــال إليهــا ولا إلــى ... رئـاستهـا فتنـاً وقبحـاً لحـالهـا
هـي الـدار دار الهـم والغـم والعنـا ... سـريـع تقضيهـا قـريـب زوالهـا
ميـاسـرهـا عسـر وحـزن سـرورهـا ... وأربـاحهـا خسـر ونقـص كمـالهـا
إذا أضحكت أبكت وإن رام وصلها ... غبــى فيـا سـرع انقطـاع وصـالهـا
فـأســأل ربــي أن يحـول بحـولـه ... وقــوتــه بينــي وبيــن اغتيــالهــا

يتبين من خلال هذه الأبيات حال الشيخ ـ رحمه الله ـ وموقفه من هذه الحياة الدنيا، ومدى فهمه لها ولأحوالها، فهي وسيلة من الوسائل وليست غاية من الغايات، وهي مطية العبد إلى دار البقاء والخلود، قال تعالى:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(١) .

---

(١) سورة القصص: آية ٨٣.

وتتضح حقيقة الدنيا من خلال ما يعرضه حيث أن العبد معرَّض فيها لإصابة الهموم والغموم والابتلاء، قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[1] .

ويوجه النصيحة لكل مسلم ومسلمة لئلا يغتروا بالدنيا ويؤثروها على الآخرة الباقية، فهو يقول:

فيا طالب الدنيا الدنيئة جاهداً ... ألا اطلب سواها إنها لا وفا لها
فكم قد رأينا من حريص ومشفق ... عليها فلم يظفر بها أن ينالها
لقد جاء في آي الحديد[2] ويونس[3] ... وفي الكهف[4] إيضاح بضرب مثالها
وفي آل عمران[5] وسورة **فاطر**[6] ... وفي غافر[7] قد جاء تبيان حالها

---

(١) سورة البقرة: آية ١٥٥ ــ ١٥٦.

(٢) آية الحديد قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [آية ٢٠].

(٣) آية يونس قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [آية ٢٤].

(٤) آية الكهف قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [آية ٤٥].

(٥) قوله تعالى: ﴿ ﴾ [آية ١٨٥].

(٦) قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [آية ٥].

(٧) قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آية ٣٩].

وفي سورة الأحقاف[1] أعظم واعظ وكم من حديث[2] موجب لاعتزالها

إلى أن يقول:

فقل للذين استعذبوها رويدكم سينقلب السم النفيع زلالها
ليلهوا ويغتروا بها ما بدا لهم متى تبلغ الحلقوم تصرم حبالها
ويوم توفى كل نفس بكسبها تود فداء لو بنيها ومالها
وتأخذ إما باليمين كتابها إذا أحسنت أو ضد ذا بشمالها
ويبدوا لديها ما أسرت وأعلنت وما قدمت من قولها وفعالها

إلى آخر ما قال ــ رحمه الله ــ في هذه المنظومة التي مشى فيها على قاعدة الجمع بين الترغيب والترهيب، وهذه هي طريقة القرآن الكريم كي يكون العبد راغباً وراهباً، راغباً فيما عند الله من الثواب العظيم وخائفاً مما عنده من العذاب الأليم، قال تعالى:

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ ﴾[3] .

ولقد قام بشرح هذه المنظومة أحد تلامذة[4] الشيخ ــ رحمه الله ــ .

* * *

وللشيخ حافظ الحكمي ــ رحمه الله ــ بعض الرسائل والمنظومات

---

(١) قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ ﴾ [آية ٣٥].

(٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها». متفق عليه.

(٣) سورة الجاثية: آية ٧ ــ ٨.

(٤) زيد بن محمد هادي مدخلي ــ سيترجم له عند الحديث عن تلاميذه حيث، استفدت ذلك منه ــ حفظه الله ــ .

المخطوطة التي لم تطبع بعد، سَيُعْمل على طبعها ونشرها في وقت قريب ـ إن شاء الله ـ حتى ينتفع بها، كما انتفع بغيرها من مؤلفاته المطبوعة[1] أهمها ما يأتي:

• • •

(١) توجد عند ابنه الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي.

ـ ١٥ ـ

«أمالي في السيرة النبوية»[١]

هذه الأمالي تشتمل على دروس في السيرة النبوية حيث بدأ يشرح على تلامذته ويملي عليهم بداية من نسب النبي ﷺ حتى وفاته ودفنه عليه الصلاة والسلام، فنراه تتبع الأحداث أولاً بأول، وبعد ما يملي الأحداث في مواضيع متعددة نراه بعدها يلخص هذه المواضيع في موضوع واحد أسرع للفهم والتذكير بما مضى حيث يقول ـ رحمه الله ـ خلاصة دروس السيرة إلى بناية قريش الكعبة.

«ولد ﷺ عام الفيل ثاني عشر شهر ربيع الأول وأرضعته ثويبة مولاة أبي لهب، ثم استرضع في بني سعد بن بكر أرضعته حليمة السعدية ثم أرجعته إلى أمه بعد حادثة شقّ الصدر، وله من العمر أربع سنين، وفي السادسة من عمره توفيت أمه آمنة بنت وهب فحضنته مولاة أم أيمن بكفالة جدّه عبد المطلب، وفي الثامنة توفي جده عبد المطلب فكفله عمه أبو طالب شقيق أبيه، وفي الثانية عشرة صحبه في سفر إلى الشام ورآه بحيراً الراهب وأمر عمه برده لما رأى فيه من علامات النبوة، وفي الخامسة عشرة شهد مع عمومته حرب الفجار في شوال، ثم شهد حلف الفضول بعده في ذي القعدة من تلك السنّة، وفي السادسة والعشرين سافر إلى الشام

(١) هذا النموذج موجود عندي تحصلت عليه من أحد تلامذته وهو علي الأهدل.

في تجارة لخديجة بنت خويلد ثم تزوجها، بعد ذلك بشهرين وفي الخامسة والثلاثين اجتمعت قريش لبناء الكعبة وشهد ذلك معهم وحكّموه في وضع الحجر ورضى الكل بحكمه.

ونراه في توضيح مراحل دعوة الرسول ﷺ يقول: «بدأت دعوته ﷺ إلى الإسلام سراً ثلاث سنين، ثم أمر بالجهر بها حين أنزل عليه:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ...﴾ الآية[1].

وبدأ بالنذارة لعشيرته حين أنزل عليه:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾[2].

فرقى على جبل أبـي قبيس حتى أتى أعلاه حجراً فقال: يا معشر قريش فعمّ وخص، فلما اجتمعوا إليه قال: لو أخبرتكم أنّ خيلاً تطلع عليكم من وراء هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذاباً قطّ، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

وقد ختمها بذكر مجمل حوادث السيرة النبوية بعد الهجرة، كل سنة على حدة.

• • •

(١) سورة الحجر: آية ٩٤.

(٢) سورة الشعراء: آية ٢١٤.

ـ ١٦ ـ

«مفتاح دار السلام،

بتحقيق شهادتي الإسلام»(١)

هذه رسالة صغيرة، تحدث فيها ـ رحمه الله ـ عن شهادتي الإسلام: «لا إلَه إلاَّ الله، محمد رسول الله»، وبيّن قيودهما المقررة عند علماء السلف، ونبّه إلى ما يجب على المسلم الناطق بهما تجاههما موضّحاً معناهما، وما تدلان عليه توضيحاً كاملاً، متبعاً كل ذلك بالأدلة الناصعة من الكتاب والسنة، وما ورد في هذه الرسالة على سبيل الاختصار، شبيه بما ورد من شرح الشهادتين مفصّلاً في كتابه (معارج القبول).

• • •

(١) أخبرني الدكتور أحمد الحكمي بأنه أنهى تصحيح هذه الرسالة والتعليق عليها «تسويداً» بفضل الله، وسيعمل على طبعها ونشرها قريباً بإذن الله.

ـ ١٧ ـ

«شرح الورقات في أصول الفقه»

لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني[١] (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ)، وهي رسالة ألفها في شرح كتاب (الورقات) الصغير الحجم المشهور في أصول الفقه للجويني.

وقد عرّف فيها هذا العلم، وقسّمه إلى أقسامه حسب موضوعات (الورقات) وشرح هذا الكتاب الصغير شرحاً مناسباً يدلّ على ما يتمتع به الشارح ـ رحمه الله ـ من اطلاع وخبرة بعلم أصول الفقه، وما يتصف به أسلوبه من الوضوح والسهولة التي عرف بها في جميع مؤلفاته، وقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ يلقى هذا الشرح على تلاميذه في المدارس السلفية والمعهد العلمي، ثم جمعه في رسالة واحدة.

• • •

(١) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي، ولد في جوين من نواحي نيسابور، ورحل إلى بغداد ثم مكة والمدينة.
انظر: الأعلام، للزركلي، ج ٤، ص ١٦٠، ط ٦.

ـ ١٨ ـ

«همزية الإصلاح، في تشجيع الإسلام وأهله، والتمسُّك كل التمسُّك بأساسه وأصله»

وهي قصيدة همزية طويلة، تقع في أكثر من مئتي بيت، مطلعها:

حمداً بلا حدّ ولا إحصاء　　لله مولى الحمد والنعماء

ويهدف ناظمها ــ رحمه الله ــ فيها إلى نصح المسلمين عامة، ولفت أنظارهم إلى ماضيهم المجيد منذ عهد النبوة والخلفاء الراشدين وما بعد ذلك من قرون، ويوضح فيها ما يتهدد المسلمين في حاضرهم ومستقبلهم، وأخذ الزاد من ماضيهم العريق لواقعهم الغريق.

وفيها يحضّ المسلمين على وجوب النهوض بدينهم، ورد افتراءات المفترين، وتهديدات الأعداء الألداء الذين يسعون إلى القضاء على الإسلام والمسلمين بكل ما أوتوا من قوة ومن أسلحة مادّية ومعنوية.

وهي قصيدة إذا قرأتها فإنك ستشعر بمدى عمق معانيها، وسمو أهدافها النبيلة، مع رصانة الأسلوب وجزالة اللفظ، بالإضافة إلى ما يتفجر في جوانب أبياتها من شعور فياض، وإخلاص متكامل، وما تحويه من علم ودراية وخبرة، وما تتضمنه من إرشاد ونصح وتوجيه وتنبيه ومن استنهاض همم المسلمين، كعادة العلماء المخلصين العاملين في إسداء النصائح

العامة والخاصة إلى أبنائهم الطلبة، وإلى مجتمعاتهم المسلمة بحسب مسؤولياتهم المختلفة، وبقدر ما تستدعيه الظروف ليكونوا دعاة خير وصلاح، شعارهم في ذلك الإخلاص والحكمة والرحمة.

وقد ختمها ــ رحمه الله ــ بهذا الدعاء الذي قاله في أبياتها الأخيرة:

يا رب فارزقنا الثبات على الهدى ... وعلى سلوك طريقه البيضاء
واسلك بنا نهج النجاة ونجنا ... من حيرة وضلالة عمياء
واجعل كتابك يا كريم إمامنا ... ورسولك المقدم للحنفاء
وأظهر على الأديان دينك جهرة ... وشعاره فارفع بدون خفاء
واجعل لوجهك خلّصا أعمالنا ... بعبادة وولاية وبراء

والمسلم في حياته يعيش بين أمرين خوف ورجاء، ويسأل الله عزّ وجلّ الثبات على دينه، والهداية والرشاد للعباد الضالين عن طريق الله المستقيم، فاللهم اهدنا لأحسن الأعمال والأقوال لا يهدي لأحسنها إلاَّ أنت سبحانك، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجدّ بالكفار ملحق.

• • •

ـ ١٩ ـ

«مجموعة خطب للجمع والمناسبات الدينية»

كان ـ رحمه الله ـ يخطب الناس لصلاة الجمعة، وقد دوّن كثيراً من خطبه لكنّها فقدت للأسف، ولم يعثر منها إلاَّ على القليل.

من هذه الخطب على سبيل المثال:

خطبة في زكاة الفطر، خطبة في استقبال أشهر الحج، خطبة في قرب الساعة، خطبة في الاستسقاء، خطبة في فريضة الزكاة، خطبة في ذكر الجنة ونعيمها، خطبة في ذكر النار وجحيمها، خطبة في استقبال رمضان، وغير ذلك.

وقد كان في خطبه ـ رحمه الله ـ يكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، ويلتزم السجع في أسلوبها غالباً.

ويحسن هنا إيراد نموذج من خطبة له في «الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر» للوقوف على طبيعة خطبه وأسلوبه فيها، حيث يقول بعد المقدمة:

«أما بعد، فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله رحمكم الله، كما دعاكم إلى تقواه إن كنتم تسمعون:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(١) .

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

وتقوى الله تعالى جماعها امتثال ما أمر الله به، والدعوة إليه، واجتناب ما نهى الله عنه، وزجر من قدم عليه، فتمسكوا بذلك لعلكم تهتدون: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾(١) .

ألا وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شغل الأنبياء، وقد خلفهم فيه خلفاؤهم الأتقياء، ولولاه لعم الجهل وبطل العلم وتركت الطاعات، وارتكبت المحرمات، وعتا السفهاء الأغبياء وعمّ العقاب الخاص والعام، ووهت أصول الدين، وتهدمت قواعد الإسلام، وحلّ بالعلم ما حلّ بمن قبلهم من الجبابرة الطغاة، فإن الفساد إذا فشى في الأرض وطمّ، شمل العقاب عليه الفاعل والراضي والمتابع وعم.

كما قال الله تعالى مبيناً عاقبة ذلك ومذكّراً ومنذراً عن السكوت على المنكر ومحذّراً: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾(٣) .

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾(٤) .

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٤.

(٢) سورة الأنفال: آية ٢٥.

(٣) سورة هود: آية ١١٦.

(٤) سورة الأعراف: آية ١٦٥.

فأخبر تعالى أنه إذا أحل بأهل المنكر غضبه وأنزل بهم عقابه لم ينج إلاَّ من نهى، ولا نهى أحد إلاَّ نجا، وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، وفيه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، «قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال ﷺ: نعم. إذا كثر الخبث»[1].

وبعد أن أورد مجموعة من الأحاديث الدّالة على ذلك ختم الخطبة بقوله:

«فيا معشر المسلمين نداء أنا أول معنّى به، أترون هذه النصوص وما في معناها خاصة بأحد دون أحد، أو متناولة لشخص دون شخص، لا والذي قامت السماوات والأرض بأمره لهي متناولة لكل فرد من أفراد المكلّفين كل بحسبه، وكلما كان المكلف أقدر على تغيير المنكر من غيره كان تناولها له وتكليفه بما فيها أشد وأغلظ ممن هو دونه.

جعلنا الله وإيَّاكم بطاعته عاملين، وجنّبنا وإيّاكم سبيل المجرمين وموارد الظالمين، إنه هو أرحم الراحمين».

هذه لمحة سريعة عن جهوده في الدعوة باستخدام هذه الوسائل المتعددة، وكما سيتضح بيانه أكثر بإذن الله في المبحث الثاني.

● ● ●

(١) رواه مسلم.

المبحث الثاني:
جهوده في الدعوة والتدريس

١ ــ الخطب الوعظية.

٢ ــ التدريس بالمدرسة السلفية، والمعهد العلمي.

٣ ــ إلقاء المحاضرات وعقد الحلقات العلمية

٤ ــ التغيير الفعلي للمنكر.

٥ ــ تربية التلاميذ.

٦ ــ من تلاميذه.

المبحث الثاني:

جهوده في الدعوة والتدريس

الدعوة للإسلام دعوة حق، لا شك في ذلك ولا يمكن لهذا الحق أن ينتشر بذاته بل لا بد له من دعوة تكفل الانتشار والقبول، وكذلك قوة تقف سنداً ليستمر ويسود، ولا بد من الدعم المتواصل وتنويع الوسائل إذا أريد لها الرسوخ والثبات فالدعوة إلى الخير تربية، والتربية المفيدة إنما تكون بالعمل لأنها مبنية على القدوة الصالحة، والأسوة الحسنة، قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[(١)].

فهذه الآية جمعت أهم وسائل الدعوة وهي (القول والعمل) وهما أساس كل دعوة يراد لها أن تستقر في القلوب، وشيخنا ـ رحمه الله ـ أخذ بالوسائل المتعددة لنجاح دعوته وإزالة الظلام المخيّم على هذا المجتمع ومن هذه الوسائل:

١ ـ الخطب الوعظية.

٢ ـ التدريس بالمدرسة السلفية، والمعهد العلمي.

---

(١) سورة فصّلت: آية ٣٣.

٣ ـ إلقاء المحاضرات وعقد الحلقات.

٤ ـ التغيير الفعلي للمنكر.

٥ ـ تربية التلاميذ.

٦ ـ من تلاميذه.

وسنبيّن كل وسيلة من هذه الوسائل ـ بإذن الله ـ :

ـ ١ ـ
الخطـب الوعظيـة

يعتبر المنبر من الوسائل المهمة في تبليغ الدعوة عن طريق الوعظ والإرشاد والتذكير بالله سبحانه، والداعي يقدم ذلك للمدعوين بقصد نصحهم وإرشادهم لما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة معتمداً في ذلك على إيقاظ الشعور، وقد طالب الله ـ سبحانه ـ المؤمنين بالدعوة إليه بالموعظة الحسنة فقال في كتابه العزيز:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[١].

وكانت هذه الوسيلة من أبرز الوسائل التي أخذ بها الشيخ ـ رحمه الله ـ، فكان يقوم بإلقاء الخطب في الجمع والأعياد والمناسبات الأخرى، والذي يؤسف له أنه لم يعثر إلاَّ على القليل من هذه الخطب.

والموجود ما يزال مخطوطاً، وكان يكتبها بيده يقرأها مكتوبة ولا يلقيها ارتجالاً[٢]، وكان يستعمل أسلوب ضرب الأمثال[٣] في خطبه، لأن

---

(١) سورة النحل: آية ١٢٥.

(٢) ليس لعدم استحضار المعاني والألفاظ، وإنما ضماناً لتسلسل الأفكار وشدة تعطش المجتمع إلى الأمور البدهية لتكون مرتبة، حدثني بذلك الشيخ محمد بن أحمد الحكمي.

(٣) المثل هو قول حسي موجز يعبر به عن شيء معقول لتقريب الفهم أو العلم به. =

الناس من قديم الزمان يميلون إلى الاستشهاد بها ويرتاحون لها ويقبلون على المتلفظ بذلك ويصغون له.

فهو أسلوب من أساليب الدعوة، ويتناول في هذه الخطب المسائل الاجتماعية، وأمور العقيدة، والعبادة، والإصلاح بين الناس وكان يأتيه السجع ـ رحمه الله ـ دون تكلّف، وكان يخطب بصوت جهوري يسمع من بعيد، ويكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية، ويذكر الأمثلة على ما يقول ليجدد وينشّط السامعين(1) ، ويحسن هنا إيراد نموذج من خطبه حيث يقول بعد المقدمة:

«أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله رحمكم الله، كما دعاكم إلى تقواه إن كنتم تسمعون:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ ﴾(2) .

وتقوى الله تعالى جماعها امتثال ما أمر الله به، والدعوة إليه، واجتناب ما نهى الله عنه، وزجر من قدم عليه، فتمسكوا بذلك لعلكم تهتدون:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤ ﴾(3) .

وخطبه ـ رحمه الله ـ جذابة ما تملّ أبداً، ومؤثرة حتى إن المستمعين

= تعريف: د. عبد الله الشاذلي، الأستاذ المشارك بكلية الدعوة والإعلام.

(1) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، مكتبة الفلاح، ص ٦٧.

(2) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(3) سورة آل عمران: آية ١٠٤.

لا يتمالكون أنفسهم من البكاء والخشوع والوجل مما يسمعونه منه[1] .

وكـذلـك كـان ـ رحمـه الله ـ يـرسـل بعضـاً مـن طـلابـه إلـى القـرى المجاورة لسامطة من أجل أن يتولوا خطبة الجمعة، فكان يسمع من طلابه الخطبة المراد إلقاؤها قبل أن تلقى ويصحح ما يراه خطأ ويدلّهم على الصواب مع تشجيعه لهم وغرس حب إفادة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور[2] .

• • •

(١) حدثني بذلك إبراهيم خلوفة، مساعد رئيس محاكم منطقة جازان بمنزله في جازان يوم الجمعة ٢٨/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

(٢) حدثني بذلك الشيخ علي بن صديق عريشي. وذلك بمعهد سامطة.

ـ ٢ ـ

التدريس بالمدرسة السلّفيّة والمعهد العلمي

عندما لمس الشيخ عبد الله القرعاوي تفوّق تلميذه حافظ الحكمي ـ رحمه الله ـ ونبوغه العلمي أقامه مدرّساً لزملائه والمستجدين من التلاميذ، وأخذ يلقي عليهم شتى العلوم النافعة، فأقبلوا عليه واستبشروا فرحين مسرورين بتعليمه لهم إذ قذف الله في قلوبهم السمع والطاعة له، لما يتصف به من الفهم والذاكرة والحرص على نفع أبناء مجتمعه لرفع الجهل عنهم، وذلك في المكان الرئيس لهذه المدرسة السلفية بسامطة، فأقبل الطلاب من كل جهة لمّا سمعوا بذلك، فاستبشر ـ رحمه الله ـ وسعد بهذا الإقبال فكان يلقي على كل منهم ما يناسبه حيث تعددت الحلقات في المدرسة فحلقة يدرّس بها القرآن الكريم وذلك من أول جزء من القرآن، والتجويد والتفسير، وحلقة يدرّس بها أصول الإسلام والإيمان وشرح لهذه الأصول وأخرى يدرس بها الأحاديث النبوية مع شرحها، وذلك بإشراف الشيخ عبد الله القرعاوي، فلما ازداد عدد الطلاب أخذ الشيخ القرعاوي يسافر إلى كل بلدة ومدينة فيفتح بها مدرسة سلفية ثم يرجع إلى المدرسة الأم «المدرسة السلفية بسامطة» وقد جعل الشيخ حافظ مديراً لمدرسة سامطة وملاحظاً لمدرسة الجرادية حين فترة غياب شيخه القرعاوي(١) .

(١) المنهل، مجلد ٨، عدد ٥، لشهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ، ص ١٩٣ .

فكثر عدد المدارس السلفية وازداد العبء على الشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ فأخذ يقوم بالتجوال أيضاً على هذه المدارس ويعطي كل مدرسة حاجتها من التوجيه مدة الإقامة فيها، فيدرّس الطلاب استقلالاً في كل فن من الفنون، في العقيدة، والحديث، والتفسير، والفرائض، وفي الفقه وأصوله، والمصطلح، وفي السيرة النبوية[1] .

فانتشرت سمعته، فكان الطلاب يأتون إليه من كل مكان، من عسير ومن اليمن والصومال والحبشة والسودان وغيرها من البلدان.

وكان يقوم باستضافة هؤلاء الطلاب الغرباء الذين التحقوا بالمدرسة السلفية وذلك بمساعدة من شيخه عبد الله القرعاوي حيث أمّن لهم الغذاء والسكن، مع ما يقوم به من الرعاية والترغيب لهم[2] .

فانطلقوا داعين ومعلمين بعد ذلك في بلادهم حيث الأمور المنكرة والبدع المنتشرة، وكانت زياراته لهذه المدارس زيارات تفقدية وتشجيعية وإرشاداً للطلاب والمعلمين والسؤال عن سلوك المعلم، فكان من ينبغ من تلاميذه وممن يدرسهم في المدرسة السلفية بسامطة، ومن يرى عليه علامة النجابة والذكاء منهم يرسله إلى مكان آخر ليفتح له مدرسة وليقوم بمهمة التعليم فيها[3] .

فكان إذا أتى إلى مكان المدرسة الموجودة في أي مكان يفرح الناس بقدومه للطافته مع قوة شخصيته[4] . فكانت رحلاته متعددة وفي جميع الجهات حسب وجود هذه المدارس السلفية.

---

(١) أحمد يحيى النجمي، أحد تلامذته، مدرس بمعهد سامطة.

(٢) زيد بن محمد المدخلي، أحد تلامذته، مدرس بمعهد سامطة.

(٣) سيأتي إيضاح ذلك عند ترجمة الشيخ جابر بن ناصر المدخلي، مساعد رئيس محكمة بيش.

(٤) الشيخ محمد بن أحمد الحكمي، السبت ٢٩/ ٢/ ١٤٠٧هـ، بمنزله في سامطة.

فقد عزم على القيام برحلة إلى «بيش»، لما رأى الناس في جهل فمكث بها عدّة سنوات من عام ١٣٦٨هـ حتى أوائل عام ١٣٧٣هـ وبعدها انتقل إلى «جازان» حيث عيّن بالمدرسة الثانوية التي أسستها المعارف في جازان فأصبح مديراً لها، فأخذ يلقي عليهم الدروس بالمشافهة تارة، وبالكتاب تارة أخرى والشرح والتعليق على ما يقرأ مع استنباط الأدلة والأحكام منها، فيجعل في بعض الأحيان بعض طلابه ــ ترغيباً لهم وتعليماً ــ يقرأ وهو يشرح بعد ذلك، وكانت مواعيد الدراسة من بعد صلاة الفجر حتى صلاة العشاء، لا يتخللها إلاَّ الصلاة وتناول الوجبات الغذائية[١].

وكان مرغِّباً ومشجعاً لتلاميذه مع الحرص الشديد، وحب إسداء التوجيه إليهم وإفادتهم والترغيب في حفظ ما يسمعونه ويقرأونه.

وقد كثرت ــ رحمه الله ــ رحلاته وزياراته في سبيل نشر الدعوة ورفع الجهل عن أبناء مجتمعه، وذلك في عدة أماكن منها قرية «السلامة العليا»، ومدينة «بيش» في الجزء الشمالي من منطقة جازان، و «المضايا» و «أحد المسارحة» و «الجاضع» و «الجرادية»، و «النجامية» و «ضمد».

ففي «المضايا» أصبحت المدرسة السلفية تعج بالطلاب حيث أصبح عددهم ٥٠٠ طالباً، وعدد الأساتذة سبعة عشر مدرساً من تلاميذه، حتى تخرج من هذه المدرسة السلفية طلاب أذكياء ونبغاء ودعاة إلى الله ولا زالوا يعملون في هذا المجال.

وكان يستعمل أسلوب المكافآت التشجيعية لمن يحفظ ويبرز في

---

(١) أخبرني بذلك رئيس محكمة بيش، أحد تلامذته وهو الشيخ جبريل بن يحيى الحكمي، وذلك بعد العصر في منزله من يوم السبت ٢٩/٢/١٤٠٧هـ.

مجاله من الأساتذة ويتجلى لنا ذلك في رسالة أرسلها لأحد تلامذته في المضايا يوم أن كان في سامطة[1] ، وفي رسالة أخرى من تلميذه يخبره عن أوضاع المدرسة في المضايا يقول فيها «المكرم الشيخ حافظ بن أحمد علي حكمي، بعد ذلك أخبركم أن المدرسة الابتدائية بها طلبة كثير ووضعنا مع المساعدين واحداً يعاونهم اسمه إبراهيم يحيى حكمي وهو فيه خير، أحببنا نخبركم بذلك، ودمتم».

فرد عليه الشيخ حافظ بأسلوب موجز يشير فيه إلى الاهتمام بمن ينفع ويعلّم أكثر مع وجود الحرص وحب إيصال الخير لهم يقول في هذه الرسالة: «الخير إن شاء الله كلهم فيهم خير ولكن لا تضعون إلاَّ إنساناً لهم فيه خير ويكون عنده مبادىء وعنده أهلية للتعليم والسلام أخوكم حافظ». وذلك في عام ١٣٧٥هـ[2] .

ولم يتوقف نشاطه على فتح المدارس السلفية الخاصة بالرجال فقط، بل جعل للنساء نصيباً من هذه الدعوة التي فيها توجيه للنفوس إلى خالقها لتخشاه وتدعوه وحده لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاء﴾[3] .

ففتح في المضايا ثلاث مدارس نسائية علمية يدرس فيها القرآن والتوحيد وأمور العبادات التي تهم النساء، وفي عدة أماكن تابعة للمضايا في الطاهرية، مزهرة وبالمضايا نفسها، مع صرف مكافأة لهنَّ، للطالبة عشرون ريال فقط، وللمدرّسة خمسون ريال كل مدرسة فيها مدرّستان،

---

(١) هذه الرسالة موجودة عندي وذلك بتاريخ ١٧/ ١٠/ ١٣٧٥هـ بخط حافظ وتوقيعه ـ رحمه الله ـ ، أرسلها إلى الشيخ محمد بن يحيى فقيه الحكمي.

(٢) نقلت هذه الرسالة من الشيخ محمد بن يحيى فقيه، أحد تلامذة الشيخ حافظ في «المضايا»، وذلك يوم الجمعة ٢٨/ ٢/ ١٤٠٧هـ بمنزله.

(٣) سورة فاطر: آية ٢٨.

وعدد الطالبات ستون في المضايا، والطاهرية خمس وثلاثون، ومزهرة خمسون طالبة[١] .

فكان النساء يتأثرن بتوجيهات الشيخ حافظ التي تسري بواسطة النساء، وقد يتصل بعض النساء بنساء المشايخ وطلبة العلم ويسألن عن بعض الأمور التي تهمهن فيتحصلن على الإجابة من هذا الطريق مع ما يقمن به من الاستماع لدروس الشيخ من وراء ستار خلف المدرسة السلفية في سامطة، حيث كانت من السعف والجريد مستديرة، فيسمعن ما يلقى على الطلاب من خلال الدروس والحلقات التي تقام زيادة على ما يسمعنه من الخطب والمواعظ التي يلقيها في الجمع والمناسبات.

فأصبح حديث الناس من الرجال والنساء حديث خير وصلاح وأخذوا يتداولون ما يسمعونه من الشيخ ــ رحمه الله ــ .

وكانت مدرسة سامطة تتكون من أخشاب الثمام[٢] ، وخشب الأثل وكانت في طول ١٢ متر وعرض ٧ متر تقريباً، ففي أول الصباح يجلس الشيخ وطلابه خارج المدرسة في الظل حتى تكون الشمس حارّة فيدخلوا في الظل، وكانت مليئة بالمغتربين من الحبشة والصومال واليمن وعسير والبلاد الأخرى من داخل المنطقة وخارجها، وكان يجلس على كرسي من الخشب، وبجانبه دولاب مليء بالكتب والمصاحف للرجوع إليها عند الحاجة لها[٣] .

---

(١) استفدت ذلك من الشيخ محمد بن يحيى فقيه الحكمي، بمنزله، حتى إن أسماء المدرسات أحتفظ بها لدي.

(٢) الثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص وربما حشي به وسدّ به خُصاص البيوت. الواحدة (ثمامة).

مختار الصحاح، الرازي، مؤسسة علوم القرآن ١٤٠٣هـ، ص ٨٦.

(٣) حدثني بذلك هادي مدخلي، بمطار جازان، يوم الأحد ٣٠/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

نشاطه في المعهد العلمي:

استمر الشيخ يدرس في المدارس السلفية ويرحل إلى أماكنها بين فترة وأخرى حسب الحاجة إليه حتى عمّ الخير ـ ولله الحمد ـ ربوع البلاد وانكشفت الغمّة العالقة بأبناء هذا المجتمع وغيره من البلاد المجاورة.

ففي عام ١٣٧٣هـ افتتحت وزارة المعارف السعودية مدرسة ثانوية بجازان عاصمة المنطقة. فعيّن الشيخ حافظ أوّل مدير لها في ذلك العام، حتى عام ١٣٧٤هـ حيث افتتحت الإدارة العامة للكليات والمعاهد العلمية[١] معهداً علمياً، فعيّن الشيخ ـ رحمه الله ـ مديراً له، فقام بهذا العمل خير قيام على الوجه الأكمل[٢].

وقد كان قيامه بإدارة المعهد العلمي أعجوبة من الأعاجيب وليس ذلك ببعيد عن رجل نذر حياته كلها لله مخلصاً له بالقول والعمل.

كان يختار من الطلبة الأذكياء والنجباء الذين توصلوا إلى قدر كبير من العلم وذلك من خلال حلقاته ومحاضراته في المدرسة السلفية وخارجها فيرسلهم إلى المعهد العلمي بسامطة.

ولما افتتحت الرئاسة العامة للكليات، المعهد أرسلت المناهج المحددة التي قررت تدريسها فيه، بدون كتب ومراجع، حتى إن الأساتذة الذين كلفوا بالتدريس ليس عندهم مقرر وإنما منهج فقط، فأخذوا يردون إليه ويقولون له ماذا ندرّس، ليس عندنا مقررات، فيوجههم ويعطيهم نبذاً، وإذا ما ذهب إلى البيت عكف وسهر طوال الليل يبحث في مكتبته ليخرج

---

(١) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حالياً.

(٢) معارج القبول، ط ٣، ج ١، ص (ش).

لهم مقرراً، فإذا أصبح وزع المقرر المطلوب تدريسه هذا الأسبوع، وهكذا دواليك، وذلك في مختلف الفنون(١) .

وشاهد ما قلناه أنه لما أرسل منهج الأدب، أخذ يؤلف عن أدب السلوك والأخلاق، حتى وصلت المقررات المحددة(٢) .

وكانت إدارته للمعهد العلمي إدارة حكيمة، يحترمه كل المسؤولين بالمعهد من أساتذة وطلاب ومستخدمين، حيث كان يأخذهم بالملاحظة التامة والرعاية، يؤاخذ المقصر مهما كان، ويشجع المجتهد، وله الكلمة المسموعة والمحبة من الجميع.

وأما تسامحه فكان يمزجه أحياناً بشيء من القوة، فإذا ما تأخر أحد من الأساتذة والطلاب عاتبه على ذلك مع التذكير بعظم المسؤولية، لأجل أن لا يضيع شيء من الوقت المقرر للدراسة(٣) ، وكان يقوم بجولة على الفصول يتفقد الجميع، ويعقد اجتماعات مع الأساتذة لإلقاء التوجيهات وكانت هذه الاجتماعات تعقد باستمرار، حدثني أحد الأساتذة في المعهد، «أنّي كنت آتي إليه ليكتب لي الدرس في أي فن من الفنون فيمسك بمقدمة رأسه ويكتب كتابة مركزة وكأنها روجعت وصححت، وبعد ذلك أذهب إلى الطلاب وأمليه عليهم»(٤) .

---

(١) حدثني بذلك الشيخ محمد الحكمي، والشيخ محمد بن يحيى فقيه، والشيخ علي بن قاسم الفيفي، والشيخ أحمد بن يحيى النجمي وغيرهم. . .

(٢) حدثني بذلك الشيخ إبراهيم بن حسن الشعبي، في منزله بسامطة.

(٣) حدثني بذلك كل من الشيخ علي بن صديق عريشي، والشيخ محمد بن يحيى النجمي، والشيخ إبراهيم الشعبي، والشيخ علي الأهدل، والشيخ أحمد بن يحيى النجمي.

(٤) أحمد بن يحيى النجمي، من علماء المنطقة الأفاضل، أحسبه كذلك.

ومع ما يقوم به من الإدارة كان يقوم بألقاء الدروس على الطلاب وطريقته في ذلك طريقة سهلة وميسرة، حيث يبدأ بالمقدمة ثم العرض ثم الاستنتاج ويكثر من الأسئلة خلال الشرح مفاجأة وفي آخر الحصة يلخص الدرس ثم يطلب من الطلبة كتابة ما فهموا[١].

حدثني أحد تلامذته يقول إنه كان يشرح الدرس بأسلوب ـ سبحان الله ـ ما أعظمه، فقد درست في الجامعة وتلقيت على كثير من الأساتذة ومع ذلك فإني لم أجد مثل ذلك الأسلوب، إذ يمتاز أسلوبه بالوضوح والبساطة وإدخال المعلومات إلى أذهاننا بأبسط صورة[٢].

وإذا تخلف أحد من الأساتذة أتى إلى الفصل وأخذ المادة التي يدرّسها الأستاذ في أي فن من الفنون، فيشرحها وكأنه متخصص فيها[٣].

وكذلك يستعمل أسلوب الإثارة والتشجيع والمنافسة بين الطلاب وأيضاً يراقب بنفسه حركات الطلاب ويتفقدهم في فصولهم.

وكان على صلة دائمة بالأساتذة والطلاب[٤]، وكانت مواقفه دليلاً على إثبات جديته وعدم تواطئه، حدثني من أثق به[٥]. أن أحد الطلاب طبق عليه النظام ـ فلم يقبل في المعهد لقلة درجاته في مادة الحساب، فتوسط له الشيخ ناصر خلوفة ـ رحمه الله ـ[٦] لأجل أن يقبل ـ فقال

(١) حدثني بذلك الشيخ إبراهيم بن حسن الشعبي، والشيخ علي بن صديق عريشي.
(٢) هو الشيخ محمد بن دعيش شعبي، أحد الأساتذة في المعهد العلمي بسامطة.
(٣) حدثني بذلك الشيخ أحمد بن يحيى النجمي.
(٤) أخبرني بذلك عبد الله بن أحمد مصلح، أحد تلامذته.
(٥) هو الشيخ حسين بن أحمد النجمي.
(٦) مع عظم مكانة الشيخ وقيمته في المجتمع وعند زميله حافظ.
له دور كبير في الدعوة والإرشاد واستضافة الطلبة الغرباء من اليمن والحبشة =

الشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ للشيخ ناصر خلوفة نحن أحوج إلى الصدق، وما زال الشيخ ناصر يتذكر هذه المقولة والنصيحة من الشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ .

واعتبرت دروسه ــ رحمه الله ــ هي منهج دراسة المعهد حيث إنه وصل بطلابه إلى ما هو أعلى من منهج المعهد في سنواته الأولى وذلك بموافقة من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وشيخه الشيخ عبد الله القرعاوي ــ رحمهم الله جميعاً ــ.

● ● ●

= وغيرها من البلاد المجاورة، وعقد الحلقات مع شيخه القرعاوي وآثار دعوته ما زالت موجودة إلى الآن، من إحسان وبر وتعليم وتوجيه ــ رحمه الله ــ .

ـ ٣ ـ
إلقاء المحاضرات وعقد الحلقات العلمية

لقد جنّد الشيخ ـ رحمه الله ـ نفسه في سبيل الدعوة إلى الله ونشر العلم، فكان لا يدع فرصة تسنح أو مناسبة تمر إلاَّ تكلم فيها مبيّناً ومرشداً وآمراً وناهياً وحاثّاً على التمسك بالدين والتزام أوامره واجتناب نواهيه، شعاره قول الله تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1] .

وكذلك قول الرسول ﷺ: «إن الناس لكم تبع وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»[2] .

ولإيمانه ـ رحمه الله ـ بعظم ثواب العالم والمتعلم كان يعقد الحلقات العلمية والمحاضرات وذلك في الأوقات التي تكون بعد الدوام الدراسي في المعهد، فكان يربي طلابه على مواصلة الطريق في طلب العلم مرغِّباً لهم ومبيِّناً عظيم الثواب في ذلك[3] .

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٤.

(٢) رواه الترمذي عن أبي هارون العبدي.

(٣) حديث: «من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً من طرق الجنّة»، رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء.

وكانت هذه الحلقات العلمية متعددة منها حلقة للكبار ومنها حلقة للصغار ومنها حلقة للطلاب المنتظمين تشبه حلقات التقوية ومنها حلقة للمدرّسين، فكل وقته يعج بهذه الحلقات، وهو يتنقّل ما بين حلقة وأخرى[1] .

وفي هذه الحلقات تدرس أنواع العلوم من توحيد وفقه وفرائض ونحو وحديث ومصطلح وأصول.

وكانت له حلقة بعد صلاة العصر للحديث من صحيح البخاري يجعل أحد تلامذته يقرأ وهو يشرح ثم يناقش مَنْ عنده مِنْ تلامذته[2] ، ويهتم بالطلاب الغرباء حيث يعقد لهم في بعض الأحيان حلقات خاصة بهم، مع تحفيظهم بعض المتون التي يرى أنهم بحاجة إليها ليقوموا بنشرها وتعليمها في مجتمعهم[3] وقد مرّ في حلقاته على معظم أمهات الكتب الإسلامية في العقيدة والفقه وأصوله والحديث وأصوله، والتفسير، وكتب اللغة والأدب والتاريخ وغيرها، فكانت آثار هذه الحلقات العلمية ناجحة مثمرة.

فقد انتشر هؤلاء الطلبة ونشروا ما تعلموه على يد شيخهم حافظ ــ رحمه الله ــ داعين وموجهين ومغيرين لما يروه مخالفاً لمنهجهم بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

• • •

(١) أخبرني بذلك علي بن صديق عريش، مدرس بالمعهد العلمي في سامطة.

(٢) أخبرني بذلك محمد شريف هاشم، كاتب عدل في محكمة أحد المسارحة.

(٣) أخبرني بذلك الشيخ محمد بن أحمد الحكمي.

ـ ٤ ـ

التغيير الفعلي للمنكر

كان الشيخ ـ رحمه الله ـ رجلاً صريحاً فيما يقوله ويأمر به، وينهى عنه، وما يقرره، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالأحكام والأخلاق والسلوك، أو كان ذلك فيما يتعلق بشؤون الناس في أمر معاشهم وعلاقات بعضهم ببعض، ومع ذلك فهو قوي في قولة الحق ونصر أهله، وقوي في بذل النصح لخلق الله أجمعين، وهذه القوة ناتجة عن قوة العقيدة وقوة الثقة بالله سبحانه، وكمال مراقبته له في كل وقت وحين[١] .

فكان لا تأخذه في الحق لومة لائم، ينكر المنكر من أي أحد فعله كائناً من كان، من زملائه أو أقرانه أو عامة الناس وولاة أمرهم، فلا يسكت أبداً، فحين قدم أحد الأمراء[٢] لجازان وعيّن هناك أميراً لها، أخذ يتكلم ويلقي أبياتاً من الشعر تحس فيها قوة الإيمان والدعوة إلى الحق، ولا يحس بهذه الأبيات ومغزاها إلاّ صاحب الفهم والعقل الناضج، يقصد بذلك منه مؤازرة أهل العلم وطلابه ومساعدتهم على نشر ذلك فهو يقول[٣] :

(١) أخبرني بذلك أحد تلامذته وهو الشيخ زيد بن محمد المدخلي، مدرس بمعهد سامطة، وذلك في يوم الأحد ١٤٠٧/٢/٣٠هـ. بمنزله الكائن بسامطة.

(٢) الأمير محمد السديري، أمير جازان في ذلك الوقت.

(٣) أخبرني بذلك الشيخ محمد بن أحمد الحكمي، بمنزله الكائن بسامطة.

فأنتم لنا قلب ونحن جوارح فإن تصلحوا نصلح وبالعكس لازما

أخذاً من قول الرسول ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1] .

وفي الأثر: «صنفان من الناس إذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس، العلماء والأمراء».

وكان الشيخ حافظ يؤمن بأن دعوته للناس كلهم على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم، يتجلى لنا ذلك من خلال قصيدة ألقاها تدل على مدى حرصه وصراحته، وذلك حين زار أحد المسؤولين تلك المنطقة، يقول فيها[2] :

وفقت فامض على نهج الهدى قدماً مستمسكاً عروة من أوثق السبب
في الله جاهد وثق بالله معتصماً فإن معتصماً بالله لم يخب
وأدأب ينير لك الوحيان مذهبك المرضي تحييهما في عصرك الذهبي
ولتنشر العدل ينزاح الضلال به ولتنصر الحق إذلالاً لمجتنب

إلى آخر ما قال ــ رحمه الله ــ في هذه القصيدة، فنراه ــ رحمه الله ــ يشارك في مجال يخدم دعوته، يتضح ذلك من خلال إلقائه لهذه القصيدة في هذا الحفل الكبير، وكلمته تؤثر في النفوس، قلّ من لا يستجيب له فهو مسموع الكلمة على مستوى الناس كلهم[3] .

وكان للشيخ الدور الكبير في التغيير الفعلي لما يراه من منكرات

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان.

(٢) استشهدت بهذه الأبيات إشارة إلى ما ذكرت، وذلك في حفل أقيم بمناسبة زيارة الملك سعود ــ رحمه الله ــ لمعهد سامطة العلمي في عام ١٣٧٤هـ.

(٣) حدثني بذلك أحد زملائه وفي الوقت نفسه أحد تلامذته موسى بن حاسر السهلي.

وبدع منتشرة تميل بالنفوس إلى العبودية المنحرفة البعيدة عن جادة الصواب والمخالفة لفطرة الإنسان السليمة التي فطره الله عليها:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[١] .

فساءه ـ رحمه الله ـ ما كان موجوداً من البدع الشركية التي وجدت في مجتمعه فساهم وشارك في تغييرها، وصرف الناس إلى عبادة الله وحده دون سواه، فكان ينظر إلى هؤلاء الناس نظرة شفقة ورحمة وحرص على انتشالهم من الجهل والبدع التي انتشرت فيما بينهم، وفي شبه الجزيرة على وجه العموم، فعالج هذه الانحرافات الجاهلية، وذكّرهم بالبعث والنشور والجزاء على الأعمال من أجل أن يستعدوا للقاء الله بالعمل الصالح والعبادة الخالصة، وكذلك ينظر إلى الأمة على العموم بنظرة الناصح المحب لها لإيصال الخير الدنيوي والأخروي، وهذا لا يستبعد من عالم رباني، فهو قوي التأسي برسل الله الذين هم أنصح الخلق لعباد الله حيث بعثوا من أجل هدايتهم إلى طريق الحق التي تصلهم بخالقهم وتورثهم جنته ورضاه[٢] ، متى ما اتجهوا إليه بالعبادة الخالصة.

فمن قيامه بإزالة هذه البدع والشركيات والزيارات التي كان الجهلة يتبرّكون بها، حيث كان في مكان يسمى «ديحمة» كان الناس يعظمونه تبرّكاً وشركاً ويقومون بزيارة له جهلاً منهم، فقام بصرف الناس عن ذلك[٣] .

---

(١) سورة الروم: آية ٣٠.

(٢) أخبرني بذلك الشيخ زيد بن محمد مدخلي، وذلك في منزله الكائن بسامطة بعد صلاة العصر يوم ١٤٠٧/٢/٣٠هـ.

(٣) أخبرني بذلك الشيخ جابر بن ناصر حيث قام الشيخ حافظ ومن معه من طلابه بذلك، وذلك بمنزله الكائن بسامطة.

وكذلك قام الشيخ ومعه بعض طلابه بإزالة صخرة سوداء كبيرة كان الجهلة من الناس يعتقدون أن الذي يحمل هذه الصخرة تأتي زوجته له بولد، ونقلها على سيارة إلى منزله ووضعها أساساً لمكتبته، ووجههم إلى الحق[١] .

وكذلك كان في أحد الأمكنة قبر لأحد الناس ويسمى هذا الرجل «ولياً» فقام بتغيير هذه المخالفة وتوجيه الناس إلى الوجهة السليمة[٢] .

فاستجاب له الناس وكذلك أبطل إحدى البدع الموجودة التي كان الجهال من الناس يعملونها بعداً منهم عن الصواب وهي: أنه في اليوم الثالث من وفاة الميت يعملون وليمة في منزل يجتمعون فيه، ويتجاذبون أطراف الحديث، ويعزى بعضهم بعضاً، وبعدها يتفرقون في آخر العزاء[٣]

فقام ـ رحمه الله ـ بإبطالها وصرف الناس إلى ما وردت به السنّة الصحيحة عند حصول هذه المصيبة.

وأخبرني أحد تلامذته[٤] ، أنه كان من بين طلابه الذين يدرسون عليه ويأخذون عنه العلم، طلبة من اليمن حريصين على طلب العلم ورفع الجهل عنهم، لكن عقيدتهم فيها الجانب الاعتزالي، فكان يركز على هذه الناحية، من أجل أن يعرفوا الصواب، وكذلك يحذِّر من الميل إلى هذا الاعتقاد، نسأل الله الثبات على الحق.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أخبرني بذلك أحد تلامذته الشيخ محمد بن يحيى فقيه، وذلك بمنزله الكائن «بالمضايا»، يوم الجمعة ٢٨/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

(٣) استفدت ذلك من فضيلة الشيخ جبريل بن يحيى الحكمي، قاضي محكمة بيش وذلك في منزله ببيش.

(٤) الشيخ علي بن صديق عريش، مدرس بمعهد سامطة.

وفعلاً حصل ما يريد ـ رحمه الله ـ لمّا عرفوا منه صدق الكلمة وغزارة العلم، والجد والإخلاص، فكانوا يكبرونه وينظرون إليه بتقدير وإعجاب، شأن المجتمع كله، حيث كانت سيرته الزكيّة من بدايتها إلى نهايتها حديث مجالسهم وموضع سمرهم ذكوراً وإناثاً صغاراً وكباراً، وما إخال ذلك إلاَّ تحقيقاً لما دل عليه الحديث الشريف: «إذا أحب الله العبد، نادى جبريل، يا جبريل إني أحب فلاناً، فأحبه، فينادي جبريل في الملائكة إن الله يحب فلاناً فأحبوه، ويوضع له القبول في الأرض»(١) .

وكان هنالك امرأة تدّعي أنها تبرىء وتشفي، فعزم على الذهاب إليها، فتمّ له ذلك ونصحها ووجهها إلى الصواب وخوّفها بالله تعالى(٢) :

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾(٣) .

فهداها الله على يديه واستجابت لنصحه.

ومن تغييره للمنكر، أنه إذا سمع بمشاجرة وخصومة بين قبائل أو أخوان، أرسل رسولاً فإذا لم يجد ذلك عزم على الذهاب بنفسه، فيرشدهم بالحكمة والموعظة الحسنة(٤) ، ويجري الله الإصلاح على يديه ويكون له ما يريد.

وكان لا يكتفي بالوعظ المباشر، إنما كان أيضاً يرسل الرسائل بخطه إلى من لا يستطيع الوصول إليه: «من حافظ إلى فلان بن فلان» مع

---

(١) رواه البخاري، بدء الخلق.

(٢) أخبرني بذلك إبراهيم خلوفة، مساعد رئيس محاكم منطقة جازان.

(٣) سورة التوبة: آية ٥١.

(٤) أخبرني بذلك إبراهيم خلوفة.

الاختصار، فيكتب جملاً تحمل معان كبيرة[1]، ودروساً عظيمة يكون بها الخير لمن ترسل إليه، مع ما يقوم به من الاتصال بالأمراء والقضاة ورؤساء المحاكم حيث يبيّن لهم بعض الأمور، مع حثهم على إقامة العدل وإنصاف المظلوم[2].

ويتصل بهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويشجعهم ويحثهم على القيام بأمرهم المناط بهم مع تذكيرهم بعظم الأجر والمثوبة، ويدلّهم على أصحاب المنكرات، أخبرني بذلك من أثق به وهو أحد القائمين بهذا العمل آنذاك[3].

وأنه كان ــ رحمه الله ــ يتعاهد الناس بالنصح والإرشاد بعد الصلوات بأسلوبه المؤثر حتى إن الناس يرددون ما يقول فيقولون هكذا يفعل حافظ[4]، وكذلك يقوم بالنّصح العام والخاص، فالعام كما سبق ذكره بالمساجد والمجالس العامة. بأسلوب التعريض دون تجريح لأحد كما كان النبي ﷺ يفعل: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا...»[5].

وأما الخاص فهو الاتصال الشخصي سراً دون الإعلان، وقلّ من لا يستجيب له فإذا لم يرتدع بالنصح والدعوة الحسنة أرسل رسالة إلى

---

(١) أخبرني بذلك الشيخ محمد بن أحمد الحكمي.

(٢) موسى بن حاسر السهلي، أحد زملائه وتلامذته.

(٣) هو الشيخ إبراهيم خلوفة المساعد لرئيس محاكم منطقة جازان، وأحد تلامذته.

(٤) أخبرني بذلك عبد الله بن أحمد مصلح: أحد تلامذته، التقيت به في منزل الشيخ إبراهيم خلوفة، في يوم الجمعة ٢٨/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

(٥) جزء من حديث الصحابة الذين أرادوا التبتل فنهاهم الرسول ﷺ، وقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». مسند الإمام أحمد، ج ٣، ص ٢٤١.

السلطة لتردعه عن فسقه ومعصيته لئلا يتأثر أبناء المجتمع بهذا العاصي المجاهر، وقد كان الولاة يحبونه ويحترمونه ويسمعون كلمته لما يعرفون منه من الإخلاص وصدق الكلمة والاستقامة مع الإقناع المؤثر[١] .

• • •

(١) حدثني بذلك الشيخ جبريل بن يحيى الحكمي، رئيس محكمة بيش، أحد تلامذته.

ـ ٥ ـ

تربية التلاميذ وتعليمهم

كان ـ رحمه الله ـ حريصاً على نجاح تلامذته ومهارتهم في أمور حياتهم العملية مع من يقومون بدعوتهم حيث كان يربي ويغرس فيهم الاتصال الدائم بالله وحده ولا سيما في الليل للقيام بدعوة الناس على منهج واضح، لأن القائم بهذا العمل قدوة من يدعوه وهو محط الأسوة، ويحتاج إلى الزاد الذي يعينه على تكبد المشاق من خلال دعوته.

«حدثني بعض تلامذته[1]، أنه كان يحثهم ويرغبهم في قيام الليل، وقراءة القرآن والقيام بما فيه، وكان هو قدوتهم في ذلك، إذ أنه يمضي جلّ وقته خاصة في الليل بقراءة القرآن وحفظه ـ رحمه الله ـ».

ومن طريقته أيضاً: أنه إذا أتى شخص يستفتيه عن أمر من الأمور، قرأ الإجابة في الفصل لأجل أن يقيّدوها ويكونوا على علم بها، وأيضاً كان يأخذ معه الطلاب الأذكياء لمجالس العلماء لكي يسمعهم النقاش ويعوّدهم على المسائل والمناقشة ولتحصل الفائدة لهم[2]. وكذلك كان يشارك تلامذته في المسابقات الرياضية والخروج معهم إلى

---

(١) منهم الشيخ جبريل بن يحيى الحكمي، رئيس محكمة بيش، والشيخ موسى بن حاسر، والشيخ محمد بن يحيى الحكمي.

(٢) حين جلوسهم عنده وكذلك في تنقلاته ـ رحمه الله ـ.

البادية[١] ، وكان يجلس تلامذته[٢] ليقرأوا حزباً من القرآن وذلك في أول النهار بعد صلاة الفجر ليستفتحوا يومهم بذكر الله، وليتربوا على مثل هذه الخصال الطيبة التي تصل الإنسان بخالقه.

فكانت علاقته ــ رحمه الله ــ مع طلابه علاقة المعلم والمربي والناصح لهم.

حدثني أحد تلامذته:

أنه حصل منه خطأ في إجابته حين الامتحان وكان خائفاً منه ومع ذلك لم يعنّفه الشيخ وإنما أخذه بأسلوب يدعوه إلى التأكد والجدّية، فقال له في المرة الأولى اعرف ما تقول، ثم بعدها في سؤال آخر قال له: مالك هكذا تتناقض مع كتابة الصواب، وفي السؤال الذي يليه قال له: ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة وفي امتحان آخر قال: يا الله الخيرة وعليك الخلف.

يقول تلميذه: فشعرت بهذا الخطأ، واجتهدت وعلمت أن الشيخ لم يرض بإجابتي، وبعد ذلك وفقت للصواب ولله الحمد[٣] .

وحدثني أحد تلامذته: بأنه كان يلزمهم في الإجازة الصيفية بنسخ جميع الدروس، وكذلك كان يقدّم لهم الامتحان وفي النهاية لا يخبرهم بالنتيجة، إلاّ بعد وقت طويل، حرصاً منه على اجتهاد طلابه ولأجل ألا يكون هم أحدهم الامتحان فقط بل الحصول على العلم، ولأجل أن لا ينظروا إلى الأمور التي تصرفهم عن ذلك من أمور الدنيا[٤] .

* * *

(١) أخبرني بذلك علي بن صديق عريش.

(٢) حدثني بذلك الشيخ يحيى دوم ممن عاصره وأخذ عنه.

(٣) الشيخ إبراهيم بن الحسن الشعبي.

(٤) أخبرني بذلك الشيخ محمد بن دعيش شعبي، بالمعهد العلمي بسامطة في يوم الأحد ٣٠/٢/١٤٠٧هـ.

وللشيخ ـ رحمه الله ـ تلاميذ كثر، ونحن لن نكتتب عنهم جميعاً، فذلك ما لا سبيل له، ولكننا هنا سنكتفي بالكتابة عن أشهرهم ممن لهم في الدعوة مجال، سواء كان في التأليف أو التدريس أو الوعظ والإرشاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وترتيب الأسماء لم ألتزم فيه بشيء سوى سرد لبعض التلاميذ وذكرٍ لجوانب من شخصياتهم فمعذرة لهم.

• • •

ـ ٦ ـ

من تلاميذه

١ ـ أحمد بن يحيى النجمي:

ولد في عام ١٣٤٧هـ، وقرأ القرآن في الكتاتيب قبل مجيء الشيخ عبد الله القرعاوي ـ رحمه الله ـ، ختم القرآن في عام ١٣٥٥هـ، وفي عام ١٣٥٨هـ كان يدرس عند فقيه[1] من أهل اليمن، وذات يوم قدم الشيخ عبد الله القرعاوي إلى هذا الفقيه، فدارت بينهما مناظرة حول موضوع «الاستواء»، وذلك في المسجد، ومن خلالها علم أحمد بمجيء هذا الداعية الكبير فأخذ يغدو ويروح إليه وذلك في عام ١٣٥٩هـ. وتتلمذ عليه حتى حفظ عنده الثلاثة الأصول[2].

وفي عام ١٣٦٠هـ في شهر صفر من هذه السنة انضمّ إلى مدرسة الشيخ القرعاوي والشيخ حافظ ـ رحمهما الله ـ، وفي عام ١٣٦٧هـ عهد إليه مشايخه بالتدريس في مدرسة النجامية وبقي يعلم، ويتعلم عند ناصر خلوفة[3] ـ رحمه الله ـ.

---

(١) يطلق على من يعلم الناس بعض المبادىء وإن لم يكن على قدر كبير من العلم.

(٢) الثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ.

(٣) سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن دور حافظ في المعهد والموقف الذي حصل معه.

وفي عام ١٣٧٤هـ رشحه مشايخه للتدريس في المعهد فكان أول من عيّن مدرساً في المعهد ومعه ناصر خلوفة ـ رحمه الله ـ واستمر يتلقى من شيخه حافظ ـ رحمه الله ـ أصناف العلوم كعلم الفرائض، والمصطلح، والعقيدة، والحديث. . .إلخ، وما زال مدرّساً حتى عام ١٣٨٤هـ حيث التحق بالدعوة والإرشاد واستمر سنتين وأحد عشر شهراً وبعدها نقل للمعاهد مرة أخرى في «جازان» ثم إلى معهد سامطة حيث هي مركزه الآن ـ حفظه الله ـ ووفقه.

مؤلفاته:

١ ـ **«تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة»:**

وهذا الكتاب عظيم الفائدة وهو من عنوانه مفيد جداً حيث يبيّن ـ حفظه الله ـ خطر هذه الأغاني التي ابتلي بها كثير من المسلمين، وحكم سماعها، ومدى أثرها في الأمة بأسلوب علمي يعتمد على الكتاب والسنّة وأقوال العلماء.

٢ ـ **«تأسيس الأحكام على ما صح عن خير الأنام بشرح أحاديث عمدة الأحكام»:**

ويتكون من جزأين، طبع الجزء الأول منه عام ١٤٠٠هـ والجزء الثاني مخطوط، وهو الآن يعمل على إخراجه وطبعه وهذا الكتاب أيضاً كسابقه كتاب مفيد جداً، يذكر عنوان الحديث ثم الحديث ثم موضوعه ثم المعنى الإجمالي له ثم فقه هذا الحديث ثم يخرج بفائدة منه، مع الترجيح بين الأقوال حسب ما يراه ـ حفظه الله ـ.

٣ ـ **«أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة»:**

قامت بطبعه ونشره الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية عام ١٤٠٥هـ، وهذا الكتاب رد منه على نشرة قرأها في وقت الحج إذ جانفت الصواب وتنكّرت للحقيقة، وهو كتاب قيّم ومفيد ويتكون من (٣٦٠) صفحة وتقوم الرئاسة بتوزيعه مجاناً لما يحويه من الفائدة والخير الكثير.

٤ ـ **«تخريج مئتي حديث في الأذكار المشروعة»:**

وله جهود مباركة وموفقة وهو من المدافعين عن الشريعة الإسلامية والداعين إليها[١] .

* * *

٢ ـ زيد بن محمد هادي مدخلي:

ولد عام ١٣٥٧هـ في قرية الركوبة، درس على يد الشيخ عبد الله القرعاوي، ثم على يد الشيخ حافظ في المرحلة الابتدائية ثم المعهد وتخرّج فيه عام ١٣٧٩/ ١٣٨٠هـ ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض وتخرّج فيها عام ١٣٨٣/ ١٣٨٤هـ، عمل بعد ذلك بالمعهد العلمي مدرّساً، وله نشاط علمي ملموس.

من مؤلفاته:

١ ـ **«الحياة في ظل العقيدة الإسلامية»:**

مطبوع عام ١٤٠٧هـ، يتكون من (١١١) صفحة تناول فيه تعريف العقيدة وأسسها، مع شرح لهذه الأسس، ثم بعد ذلك أهداف العقيدة الإسلامية، ومقومات النصر لأهل العقيدة.

---

(١) تم هذا اللقاء معه في منزل الشيخ محمد الحكمي يوم الجمعة ٢٨/ ٢/ ١٤٠٧هـ بسامطة في جازان.

٢ ــ «شرح العقيدة الهائية للشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ » :

منها ما هو مطبوع والبعض تحت الطبع في الوقت القريب ــ إن شاء الله ــ[(١)] .

٣ ــ الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة.

* * *

٣ ــ إبراهيم بن حسن الشعبي :

ولد عام ١٣٥٧هـ بسامطة، درس في المدرسة السلفية، ثم التحق بالمعهد، وتخرج منه عام ١٣٧٨هـ، والتحق بكلية الشريعة وتخرج فيها عام ١٣٨٢/ ١٣٨٣هـ، وبعد ذلك عمل مدرّساً بمعهد سامطة ثم انتقل إلى متوسطة معاذ، فأصبح مديراً لها، ثم مديراً لثانوية أبها، وفي عام ١٣٩٠هـ، عاد إلى سامطة فأصبح مدرّساً بمتوسطتها نزولاً على رغبة والده لبقائه بجانبه، وفي ١/ ٣/ ١٣٩٤هـ. صدر قرار بتعيينه رئيساً لبلدية سامطة وما زال بها حتى الآن.

وهو بجانب اشتغاله بالعلم والتعلم والدعوة إلى الله يجيد الشعر، ويستعمله وسيلة من وسائل الدعوة وله بعض القصائد الشعرية التي يسعى فيها لإيقاظ روح الجهاد والدعوة إلى الإسلام وتفهّمه.

من قصائده قصيدة حول واجب المعلم والطالب، وقصيدة برلمان الكون، وفي قصيدة بمناسبة حج عام ١٤٠٣هـ، يصف بها حال الحجيج وكثرتهم وفقد روح مقاصد الحج السامية لدى بعضهم، حيث الخناق والنداءات غير المشروعة ويرد فيها على أدعياء القومية العربية يقول فيها:

---

(١) استفدت هذه الترجمة منه شخصياً.

من مهبط الوحي أرض المروتين ومن مهوى القلوب ومسرى سيد النجب
من العتيق الذي أرسى قواعده أبو النبوات أو مستبرد اللهب
من مشرق النور أرض الأخشبين ومن قلب الجزيرة من ترسانة العرب
اليوم من برلمان الكون أعلنها شجوى تميّز من غيض ومن غضب
قد خططت كل أيدي الشرق وانصرفت لشأنها بين شغّيل ومرتقب
لكي تنفذ ما شاءوا وما رسموا في حنكة ودهاء ماكر حرب

إلى أن قال:

والمسلمون الغيارى طال شوقهم إلى الجهاد وزحف الجحفل اللجب
ويا بني الدين إن الدين يندبكم والبحر يقذف بالأمواج واللهب

ثم يقول:

بيض الصفائح أو سود الصحائف أو قنابل الذرة المشؤومة الشهب
أو الأساطيل في سهل وفي جبل في الجوّ والبحر أو من خارج الجذب
تضاءلت في يد الجبار طاقتها حتى غدت كجناح تائه سرب

وفيها يرد على أبي تمام لأنه أخطأ الهدف، ولأن الإسلام هو الذي حدا بالمسلمين حتى فتحوا عموريّة، والقصيدة طويلة ولعلها تكون دليلاً على قوة أدبه وشاعريته، أما القصيدة الأخرى فيستثير فيها همّة المعلم ويشعره بعظم الأمانة التي أنيطت به في مجال التربية والتعليم لجيل اليوم وقادة الغد حيث الميدان الخصب للبناء فيقول فيها:

أمعلم الأشبال في حقل الهدى اليوم أنتم قدوة ولواء
وبكم تناط مهمة مرموقة يملي سطور حديثها النبلاء
والجيل يبحث جاهداً عن أسوة من يرشد الحيران يا عقلاء
والآن أعلنها بصوت صارخ فهم البنون وأنتم الآباء

يا طالب العلم الشريف بعزمة   أخلاق مثلك شيمة وإباء
أثبت وجودك في الحياة كمؤمن   فالناس في هذا الوجود سواء
وإذا فقدت من المعلم قدوة   فأمامك التاريخ والعظماء[1]

* * *

٤ ــ علي بن قاسم بن سليمان الفيفي المغامري:

ولد عام ١٣٥٠هـ في فيفا، وقرأ القرآن في الكتاتيب فحفظه وأخذ المبادىء على يد كاتب عدل اسمه حسن أحمد المغامري وبعد ذلك أسس الشيخ القرعاوي مدرسة فيفا والتحق بها وحفظ بعض المتون، كالنحو، والصرف، والسيرة، والمصطلح والعقيدة، ثم انتقل إلى المدرسة السلفية بسامطة عام ١٣٦٤هـ فوجد فيها حافظاً ــ رحمه الله ــ فلازمه حتى عام ١٣٧٢هـ، فأخذ عنه الكثير واستفاد منه دون غيره، وتولى إمامة وخطابة جامع فيفا، والتحق بوظيفة القضاء إلى جانب عمله مع إقامة دروس وحلقات في المسجد عام ١٣٧٣هـ، إلى أن وصل إلى درجة قاضي تمييز في مستهل عام ١٤٠٧هـ، وهو الآن يعمل في هيئة التمييز بمكة المكرمة ــ حفظه الله ــ وبارك في جهوده.

ومن مؤلفاته:

١ ــ «الحوار المبين عن أضرار التدخين والتخزين[2]»:

---

(١) تمت هذه المقابلة معه في مكتبه في البلدية بسامطة يوم الأحد ٣٠/ ٢/ ١٤٠٧هـ.
(٢) التخزين: أكل القات وبقاء آكله أوقاتاً يطرب فيها حيث تتغير حاله. انظر: لسان العرب ج ١٣ دار صادر ص ١٣٩ مادة خزن.
انظر: نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والشمّة والدخان، الحكمي ط ٣، ص ٤ ــ ٧.

ومن عنوانه يتضح المراد منه، وهو مطبوع، والسبب في تأليف هذا الكتاب أن الشيخ علي ــ حفظه الله ــ رأى أن أمته قد ابتليت بهذا الداء الخطير الذي هو التخزين المسبب للبطالة وما يجره من بلاء وويلات على الفرد والأسرة المسلمة ويهدر مالها وأوقاتها، وكذلك التدخين الذي يودي بصحة الإنسان وماله، وحينما يكتب فإنما يكتب بأسلوب علمي مدعّم بذكر الأدلة العقلية والنقلية.

٢ ــ **«ديوان شعر الطيف العابر»**: (مطبوع)

وهو في ديوانه ملتزم بالإسلام وأدبه يجنّد شعره لخدمة دينه وأمّته.

٣ ــ **«السمط الحاوي عن أهم الملامح عن الداعية الشيخ عبد الله القرعاوي»**.

٤ ــ **«الكشكول اللطيف في التعريف بفيفا المصيف»**[١].

٥ ــ **«كتابات متفرّقة»**:

في الطريق ــ ستنشر قريباً بإذن الله ــ[٢].

* * *

---

(١) هو ذلك الجبل الشامخ، والعلم الباذخ في مقاطعة جازان على بعد مائة كيلومتر تقريباً عن شاطىء البحر، وهو يكاد يكون منفرداً في السلسلة الجبلية الشرقية.
والجبل معمور من السفح تقريباً إلى قمته بالمزارع المدرّجة والبيوت المتعددة في منبسط وثنيّة، ومن مزروعاته: البن، والقات، والذرة ، والحنطة، والشعير، ومن الفواكه: الموز، والعنب، والخوخ، والتمر، والزنجبيل.
تاريخ المخلاف السليماني، محمد العقيلي، ج ١، ط ١٣٧٨، ص ١٩.

(٢) علمت ذلك من خلال مقابلة معه في محكمة هيئة التمييز بمكة المكرمة، يوم الاثنين ١/٣/١٤٠٧هـ، من الساعة العاشرة حتى صلاة الظهر.

٥ ــ جابر بن ناصر مدخلي:

في عام ١٣٦٠هـ تتلمذ على يد الشيخ عبد الله القرعاوي مع جملة من طلبة العلم، وأيضاً على يد الشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ ، حيث كان الشيخ عبد الله يلقي الدرس على الجميع وحافظ يعيده عليهم، وبعدها لازم الشيخ حافظ ملازمة تامة في المدرسة السلفية...

وفي عام ١٣٦٦هـ تولى الإمامة بجامع القحمة التابعة لجازان مع التدريس والتعليم داخل المسجد، وفي عام ١٣٧٧هـ كان معتمد مدارس الجنوب في القنفذة، وبعدها عيّن كاتب عدل فيها، وفي عام ١٣٨٢هـ تولى القضاء، وما زال يعمل في سلك القضاء حتى الآن، وبجانب عمله في القضاء فإنه يتولى الخطابة والإرشاد والتوجيه بقرية «المداخلة».

وله جهود في الدعوة والتوجيه حيث فتح سبع مدارس في «ضمد» و «الشقيري» لتحفيظ القرآن، وكان يصرف المكافأة من جيبه الخاص ابتغاء وجه الله، وقد ضمَّت هذه المدارس إلى وزارة المعارف، ومما يدل على نشاطه، رسالة كتبها إلى الشيخ حافظ يريد منه أن يرسل عدداً من الأساتذة كي يساعدوه إذا أن إقبال الطلاب كثير، والمدارس عديدة مع قلة المادة آنذاك، وهذه الرسالة يقول فيها بعد الافتتاح والسلام:

«نشعركم بالإخوان الطلبة أنهم مستفتحين ومقبلين ونبشركم بأنه جاءنا طلبة من شعب الخرابة، وصاحب البار والطلبة كثير ولا عاد وسعت السهوة[1] التي نحن فيها فنطلب من فضل الله ثم فضلكم واحداً من

(١) هذا كلام عامي يقصد به أن السهوة: وهي المكان المعد لإلقاء الدروس لم يعد يتسع للطلاب لكثرتهم.

الإخوان. . . هذا ما نبشركم به ونسأل الله لنا ولكم حسن الخاتمة والتوفيق يا رب العالمين(١) .

وقال لي: إن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان يحثنا على إخلاص العمل لله وأن لا يقتصر الشخص منا على عمله الوظيفي فقط، بل يكون داعية ومرشداً في أي مكان، فقال أنتم لستم بقضاة فقط بل دعاة، وإني أحمد الله ثم أشكر شيخي حافظ ـ رحمه الله ـ على توجيهه وحرصه عليّ وعلى زملائي حيث تأثرنا به في الحرص علي طلب العلم والدعوة إليه والصبر والتحمل على المتاعب التي يلقاها طالبه(٢) .

* * *

٦ ـ علي بن علي صديق عبد الله عريشي:

ولد عام ١٣٥٨هـ في «الجرادية»، تعلم في مدرسة الجرادية لدى الشيخ منصور بهلول، والشيخ محمد جابر، والشيخ علي حمد عريشي ـ زملاء للشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ تعلم مبادىء القراءة والكتابة وحفظ المتون، وبعدها التحق بالمدرسة السلفية لمدة بسيطة ثم التحق بالمعهد في عام ١٣٧٤هـ بإدارة الشيخ حافظ، وكان يحضر دروس الشيخ خارج المعهد التي يعقدها لكبار الطلبة في المسجد بعد نهاية الدوام، وفي المدرسة السلفية أيضاً، والتحق بكلية الشريعة ثم تخرج فيها عام ١٣٨٢هـ، عيّن مديراً لمعهد جازان، وفي عام ١٤٠٦هـ انتقل مدرساً في معهد سامطة وكان إلى جانب ذلك يتولى إمامة أحد مساجدها، كما يعمل في الوعظ والإرشاد

(١) هذه الرسالة موجودة لديّ بخط صاحبها أرسلها لشيخه في ٣/ ٣/ ١٣٦٤هـ.

(٢) دار هذا الحوار بيني وبينه في منزله الكائن بسامطة بعد صلاة العشاء من يوم الخميس ٢٧/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

ويشارك في الدعوة والتوجيه، وله جهد مبارك وعمل طيب في منطقة جازان، وقد قال لي: تأثرت بشيخي ـ رحمه الله ـ واستفدت منه حيث كان يشجعنا ويأخذنا لمجالس العلماء ليسمعنا النقاش وطريقة الأخذ والعطاء[١] .

* * *

٧ ـ حسين بن أحمد بن حسين النّجمي:

ولد عام ١٣٤٣هـ، تعلم على يد الشيخ عبد الله القرعاوي والشيخ حافظ ـ رحمهما الله ـ في المدرسة السلفية بسامطة أنواع العلوم، عمل مدرّساً من عام ١٣٦٧هـ حتى عام ١٣٧٣هـ في إحدى المدارس السلفية التي أقيمت في المنطقة بتوجيه من شيخيه، ثم التحق بالمعهد مدرّساً حتى الآن، ومجاله في الدعوة هو مجال التعليم والتثقيف، فهو متخصص في علم الفرائض، يعلمها الطلاب في المدارس السلفية زيادة على المواد الأخرى التي يجوّدها كالتوحيد والحديث والفقه وقد تتلمذ عليه عدد كبير من طلبة العلم وله في هذا المجال جهد مشكور، وسألته عن مدى تأثره بشيخه ـ رحمه الله ـ فقال:

«لقد تأثرت بتمسكه بدينه وحسن سيرته وسلوكه بجانب تأثري بعلمه حيث كنت ملازماً له[٢] ـ رحمه الله ـ .

* * *

(١) تم هذا اللقاء في معهد سامطة يوم الأحد ٣٠/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

(٢) قابلته في بيت الشيخ أحمد بن يحيى النجمي بعد العشاء من يوم السبت ٢٩/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

٨ ـ منصور بن محمد بن غانم:

ولد عام ١٣٤٥هـ، تلقى تعليمه على يد الشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ بالمدرسة السلفية ببيش، ثم عيّن قاضياً لمحكمة الشقيق، ثم استقال منها برغبته، وعيّن كاتباً بمحكمة بيش حتى أحيل للتقاعد في عام ١٤٠٥هـ، والآن يعمل إماماً وخطيباً بجامع بيش ويقوم بالوعظ والإرشاد على ضوء ما استفاده من شيخه حافظ[١].

* * *

٩ ـ إبراهيم محمد الأعجم:

ولد عام ١٣٥٦هـ، تلقى تعليمه على يد الشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ بالمدرسة السلفية في بيش، وعيّن إماماً وخطيباً بجامع بيش، ثم رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بيش، وما زال على رأس عمله مع ما يقوم به من الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الخير على ضوء ما تعلمه من شيخه ـ رحمه الله ـ[٢].

* * *

١٠ ـ الحسن بن علي العكيري:

ولد عام ١٣٤٤هـ، تلقى تعليمه على يد الشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ في المدرسة السلفية بسامطة، ولما انتقل الشيخ حافظ إلى بيش انتقل معه ولازمه، عمل إماماً «بخبت السادة» بتلك المنطقة ثم معلماً ومدرّساً في

---

(١) قابلته عند مسجده في بيش يوم الأحد ١٤٠٧/٢/٣٠هـ بعد صلاة المغرب.

(٢) أخذت هذه الترجمة من رئيس محكمة بيش الشيخ جبريل في يوم الأحد الموافق ١٤٠٧/٢/٣٠هـ.

إحدى المدارس التابعة للشيخ عبد الله القرعاوي بتوجيه من الشيخ حافظ، ثم عيّن رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بيش حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٤٠٥هـ، ويقوم الآن بإمامة أحد المساجد، وبتدريس الطلاب وتحفيظهم القرآن الكريم على حسابه الخاص مع ما يقوم به من الدعوة والتوجيه، وفّقه الله وأعانه[١] .

* * *

١١ ـ محمد بن يحيى بن علي فقيه الحكمي:

تعلَّم القرآن على يد والده، وبعد زيارة الشيخ عبد الله القرعاوي للمضايا جاء معه بمدرّس اسمه محمد عثمان نجّار مباركي فكان يقوم بالتدريس في المدرسة السلفية بالمضايا وقد أصبح عدد طلابها خمسمائة طالب، فأتى الشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ وأخذ يلقي عليهم ويوجههم ويحثهم على طلب العلم، ووضع جدولاً لهذه المدرسة[٢] ، وبعد ذلك صحبه من بهذه المدرسة وأخذوا على يديه أصناف العلوم والفوائد، وأصبحت هذه المدرسة السلفية الموجودة في المضايا تحت إشرافه.

والتحق الشيخ محمد بالمعهد العلمي اختاره شيخه حافظ لمّا رأى عليه علامة النجابة والذكاء، وتخرّج من المعهد، وبعدها التحق بكلية الشريعة بالرياض وتخرج فيها عام ١٣٨٦/ ١٣٨٧هـ، ثم درّس في معهد

(١) استفدت هذه الترجمة من الشيخ جبريل الحكمي رئيس محكمة بيش في يوم الأحد ١٤٠٧/٢/٣٠هـ.

(٢) حدثني الشيخ محمد بأن حافظاً وضع جدولاً دراسياً وقد رأيته عنده فاحتفظ به، وضعه في فترة لا تتجاوز النصف ساعة، مع أن المواد متنوعة وعدد الفصول كثير والأساتذة سبعة عشر مدرساً، وهو واقف على السيارة، وقد أعجبنا به واستغربنا جميعاً لهذه السرعة المدهشة.

الباحة ثم في بيشة، وبعدها تنقل في الدعوة والإرشاد في المنطقة الشرقية ونجران وعسير، ثم ذهب إلى منطقة جازان حيث يقوم هنالك بمراقبة المطبوعات في ميناء جازان مع إمامة وخطابة جامع المضايا، وله جولات وزيارات في المنطقة للدعوة والإرشاد.

ذكر لي أنني أشكر الله ثم أشكر مشايخي الذين تلقيت عنهم وعلى رأسهم الشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ حيث كان لي نعم المعلم والموجه[١].

* * *

١٢ ـ محمد بن يحيى القرني:

من قبيلة بالقرن المجاورة لقبيلة خثعم، سافر لطلب العلم باليمن وكان صغيراً لم يبلغ الحلم، وبعدها جاء من اليمن راجعاً إلى بلده وعند ممره بسامطة وافق الشيخ عبد الله القرعاوي والشيخ حافظ بسامطة، وكان شاباً فطناً ذكياً عاقلاً، فرغب في البقاء بالمدرسة السلفية بسامطة ليواصل دراسته بها.

وقد وجد ضالته المنشودة، لذلك فضّل الجلوس بالمدرسة ونسي أهله ببلاد بلقرن، فجد واجتهد في طلب العلم، وكان زميلاً للشيخ محمد بن أحمد الحكمي يدرس وإياه شرح الطحاوية برغبة ونهم في العقيدة، ولم يسمح الشيخ حافظ أن يشاركهما في الطحاوية أحد من الطلاب لبعد أذهانهم وأفكارهم عن مدارك الكتاب، وكان عبقرياً في الفرائض حيث حفظ متن الرحبية والنور الفائض للشيخ حافظ

---

(١) التقيت به في منزله الكائن «بالمضايا» يوم الجمعة ١٤٠٧/٢/٢٨هـ بعد صلاة الجمعة، وخطب في ذلك اليوم عن عظم الأمانة بأنواعها، فكانت خطبة عظيمة ومفيدة جداً.

ـ رحمه الله ـ ، وكان هو الذي يلقي بالمدرسة درس الفرائض على الطلاب المتوسطين منهم والكبار بعد أن أتقنها حفظاً، وفي عام ١٣٦٣هـ أرسله شيخه إلى جبل فيفا ففتح هناك مدرسة كفرع لمدرسة «سامطة» وبلغ طلابه تقريباً مائة وأربعين طالباً، وعلى رأسهم الشيخ علي بن قاسم الفيفاوي عضو هيئة التمييز حالياً بمكة، فاستفاد أهل فيفا فائدة كبيرة ولو لم يكن من نتاج هذه المدرسة إلاّ الشيخ علي بن قاسم الفيفاوي لكفى.

وبعدها عيّن قاضياً ومدرّساً «بالشقيق» ثم «بالدرب» ثم قاضياً بمدينة «بيش» ثم «صبيا» وبقي بها حتى عيّن عضواً بهيئة التمييز وهو الآن متقاعد بعد أن مكث في القضاء فوق أربعين عاماً، وقد كان الرجل على جانب كبير من الحزم وقوة الشخصية وحصافة الرأي، لا يبالي فيما تقلده من مهمة العمل القضائي بأي أحد مهما كبرت شخصيته.

ويقوم بالدعوة والإرشاد وعقد حلقات التدريس في المساجد بعد صلاة الفجر، وصلاة المغرب، ويتنقل من مكان إلى مكان[1] ـ حفظه الله ـ ووفقه للخير والصواب.

* * *

١٣ ـ جبريل بن يحيى الحكمي:

ولد في «بيش» عام ١٣٥٢هـ، تعلم على عدة مشايخ من أبرزهم الشيخ حافظ، حيث كان ملازماً له مدة بقائه في «بيش» من عام ١٣٦٤هـ حتى عام ١٣٧٤هـ في المدرسة السلفية التي كان يدرّس فيها أنواع العلوم كالتفسير والحديث والتوحيد، والفرائض، والقواعد، والصرف، وكذلك

---

(١) أخذت هذه الترجمة من الشيخ محمد بن أحمد الحكمي زميله الخاص، وذلك في يوم الاثنين ١/ ٣/ ١٤٠٧هـ.

لازمه في حلقاته التي كان يلقيها في مسجد الفقهاء في بيش، تعيّن إماماً وخطيباً في بيش وذلك عام ١٣٧٢هـ، وبعدها في منتصف عام ١٣٧٣هـ تعيّن عضواً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي ٢٠/٩/١٣٨٢هـ تعيّن قاضياً في محكمة بيش ولا زال بها حتى الآن ــ حفظه الله ــ .

وقال: بأن الشيخ حافظ نعم الموجه والمرشد حيث تأثرت به كل التأثر في جده واجتهاده وفي تحصيله العلوم وتمسكه بالكتاب والسنّة، والدعوة إليهما، والصبر على ما يلاقيه ــ رحمه الله ــ رحمة واسعة(١) .

* * *

١٤ ــ عمر بن أحمد جردي مدخلي:

تعلَّم على يد الشيخ عبد الله القرعاوي والشيخ حافظ ــ رحمهما الله ــ في المدرسة السلفية، كان مجاله في الدعوة هو التعليم وله في ذلك أثر محمود في أماكن عديدة، وذهب إلى اليمن الشمالي ففتح فيها مدرسة بقرية يقال لها «القنما» وبعدها أرسله شيخه إلى مدرسة السلامة التابعة لمدينة «بيش» (أم الخشب)، وفي عام ١٣٦٦هـ تعيّن مرشداً بمدينة «صبيا» ثم انتقل إلى «سامطة» في عام ١٣٦٨هـ، ثم عيّن وكيل كاتب بمحكمة سامطة ثم كاتباً بالمحكمة نفسها، وفي عام ١٣٧٥هـ تعيّن مراقباً بمعهد سامطة، ومراقباً على مدارس الشيخ القرعاوي بسامطة، وفي عام ١٣٧٦هـ أرسله شيخه عبد الله والشيخ حافظ للصرف لمدارس اليمن التي أسست هناك مراراً، وكان خلال ذلك يقوم بالتوجيه والنصح بجانب ما يقوم به من درس وتعليم(٢) .

---

(١) زرته في منزله ببيش يوم السبت ٢٩/٢/١٤٠٧هـ، بعد العصر.

(٢) تم هذا اللقاء معه في يوم الخميس ٢٧/٢/١٤٠٧هـ.

موسى بن حاسر بن أحمد السهلي:

لازم الشيخ حافظ من عام ١٣٥٩هـ حتى نهاية عام ١٣٦٢هـ، درس على يديه وتعلم علم التوحيد، والفرائض، والحديث، والفقه وأصوله، وحدثني أنه كان يسمعه يتغنى بهذه الأبيات دائماً:

للّه قوم شمّروا في حبه ... واختارهم ورضي بهم خداما
قوم إذا جنّ الظلام عليهم ... أبصرت منهم سجّداً وقياما

وقال: إنني تأثرت به تأثراً كبيراً، فكان قليل الكلام كثير الصمت فيما لا يعنيه، كثير القراءة للقرآن الكريم عن ظهر قلب، حيث نتذاكر جميعاً وقت السفر في مثل هذه العلوم العظيمة والمفيدة[1].

وهو الآن يعمل في مجال الوعظ والتوجيه وله ثقله في المجتمع ومكانته وسمعته الطيبة.

* * *

١٦ ـ محمد بن شريف هاشم:

تعلَّم على يد الشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ ولازمه من خلال حلقاته ودروسه العلمية، تولى كتابة العدل في محكمة «المسارحة» التابعة لجازان، وقد كان قبل ذلك كاتباً للعدل في نجران، ويتولى القيام بالوعظ والإرشاد وتوجيه الناس ودعوتهم إلى الخير.

وقد تأثر من شيخه بحسن الخلق، والحرص على طلب العلم والسلوك الحسن والأدب الرفيع، والاستقامة، وحثه دائماً على الدعوة

(١) استفدت ذلك منه شخصياً يوم الخميس ٢٧/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

والتذكير بالله[1] .

* * *

١٧ ـــ إبراهيم بن محمد خلوفة :

ولد عام ١٣٥٥هـ، تعلم على يد الشيخ ناصر خلوفة والشيخ عبد الله القرعاوي والشيخ حافظ ـ رحمهم الله جميعاً ـ في المدرسة السلفية وبعد ذلك التحق بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم التحق بالمعهد العلمي ثم بكلية الشريعة وتخرّج فيها عام ١٣٨٦هـ، ثم عمل في محكمة جازان وما زال بها حتى الآن مساعداً لرئيس محاكم منطقة جازان.

وتأثر من شيخه بأسلوبه الحكيم، وطريقة دعوته، ومواجهة المخطىء والمقصر بالتوجيه المناسب بالموعظة الحسنة، وكذلك التورية البعيدة وعدم التشهير به، وكذلك جديته في العمل وإخلاصه وورعه، ويقوم الشيخ إبراهيم بإمامة المسجد الجامع بجازان مع ما يلقيه من وعظ وإرشاد ودعوة للناس[2] .

* * *

١٨ ـــ محمد بن حسين النجمي :

ولد عام ١٣٥٨هـ، تلقى تعليمه على يد الشيخ حافظ ـ رحمه الله ـ

---

(١) التقيت به في منزل الشيخ محمد بن أحمد الحكمي يوم الخميس الموافق ٢٧/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

(٢) تمت هذه المقابلة معه في منزله يوم الجمعة الموافق ٢٨/ ٢/ ١٤٠٧هـ، بعد العصر وذلك بجازان.

في المدرسة السلفية وأخذ عنه أصناف العلوم، ثم عاد إلى (الموسَّم) قاضياً بها مرة أخرى، ثم «أحد رفيدة» بعسير ثم قضاء «فرسان»، ثم قضاء «المضايا»، ثم إلى «الموسّم» مرة أخرى، ويتولى مهمة الوعظ والإرشاد وله جهود مباركة في ذلك[1].

* * *

١٩ ــ حسن بن زيد النجمي:

تعلَّم على يد الشيخ عبد الله القرعاوي والشيخ حافظ ــ رحمهم الله ــ تولى القضاء بعد أن أصبح على جانب كبير من العلم والمعرفة وذلك في «القحمة» ثم «صبيا» ثم «سامطة» ثم «المضّة» ثم «الليث». وهو الآن عضو قضائي بالمحكمة الكبرى في أبها، وهو من طلاب الشيخ المبرزين والباحثين، حريص على اقتناء الكتب ومطالعتها على جانب من العلم والذكاء وكان من الملازمين للشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ[2].

* * *

٢٠ ــ أحمد بن عبده المدخلي:

ولد عام ١٣٥٦هـ، تعلم في المدرسة السلفية على يد الشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ ثم التحق بالمعهد بإدارة الشيخ، وتلقى على يديه العلم من خلال دروسه وحلقاته العلمية التي كان يعقدها بعد نهاية الدوام في المعهد، ثم التحق بكلية الشريعة عام ١٣٨٠هـ وبعدها تولى إدارة متوسطة

---

(١) أخذت هذه الترجمة من رئيس بلدية سامطة من زملاء المذكور، وذلك في يوم الأحد ٣٠/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

(٢) أخذت هذه الترجمة من رئيس بلدية سامطة من زملاء المذكور، وذلك في يوم الأحد ٣٠/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

جازان، ثم واصل دراسته فنال الماجستير، ثم انتقل إلى إدارة البحوث العلمية وأصبح داعية في أوغندا بأفريقيا ثم استقال بعدها واشتغل بالأعمال الحرة، وله كلمته المسموعة وشخصيته اجتماعية ويحسن للمحتاجين بشكل ملحوظ ويشهد بذلك خلق كثير(١).

٢١ ــ إبراهيم بن يوسف فقيه:

ولد عام ١٣٥٢هـ، تعيّن أستاذاً بمدرسة البرك عام ١٣٧١هـ، بتوجيه من شيخه، ثم انتقل عام ١٣٧٢هـ عضواً بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قاضياً عام ١٣٨٣هـ بمحكمة «رجال ألمع» ثم انتقل إلى محكمة «صبح باللسمر» التابعة لمنطقة عسير ولا زال بها حتى الآن.

وهو ممن درس على الشيخ حافظ بالمدرسة السلفية مختلف العلوم فانتفع ونفع الله به المسلمين بفضل من الله ثم بفضل شيخه ــ رحمه الله ــ(٢).

* * *

٢٢ ــ علي بن يوسف فقيه:

ولد عام ١٣٥٦هـ، تلقى تعليمه على يد الشيخ حافظ ــ رحمه الله ــ جميع الدروس، وفي عام ١٣٦٩هـ عينه شيخه مدرساً بمدرسة «هروب»، وفي عام ١٣٧٧هـ، عيّن كاتب ضبط بمحكمة بيش وما زال بها حتى الآن.

---

(١) إملاء إبراهيم بن حسن الشعبي رئيس بلدية سامطة يوم الأحد بعد العشاء ٣٠/٢/١٤٠٧هـ.

(٢) استفدت هاتين الترجمتين من الشيخ جبريل رئيس محكمة بيش في يوم الأحد ٣٠/٢/١٤٠٧هـ بمنزله.

وهو الآن من طلبة العلم الذين لهم مكانتهم واحترامهم في تلك المنطقة فانتفع، ونفع الله به[1].

* * *

٢٣ ـ علي بن عبد الله الأهدل:

ولد عام ١٣٥٤هـ في اليمن، درس القرآن على أبيه وأكمل ختمه، ثم التحق بمدرسة اسمها «الجبيرية» وحفظ الأجرومية، والزّبد، والرحبية، وسفينة النجا، وفي عام ١٣٧٧هـ، التحق بمعهد سامطة وأكمل تعليمه بالمعهد ثم بكلية الشريعة، ثم مدرّساً بمعهد سامطة حتى الآن.

له بعض القصائد في بعض المناسبات، وجدت عنده مخطوطات كثيرة لشيخه حافظ ـ رحمه الله ـ يحتفظ بها في مجلد عنده منها قصائده، وما كان يمليه عليهم في الحلقات والدروس العلمية وقد رأيت ذلك المجلد وأخذت صورة مما كان يمليه عليهم وهي موجودة عندي الآن، ونوادر من قصائده لم أجدها إلاّ عنده وسألته عن مدى تأثره بشيخه فقال: تأثرت بسلوكه وعلمه وأعتبر كتبه مرجعاً لي في حياتي حيث إنه كان من الرجال الأفذاذ في زهده وورعه ـ رحمه الله ـ[2].

● ● ●

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تمت هذه المقابلة معه في منزل الشيخ إبراهيم بن حسن الشعبي بعد العشاء من يوم الأحد ١٤٠٧/٢/٣٠هـ.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أهل الفضل والتقى.

وبعد:

فإني في هذه الرحلة السريعة، مع هذه الشخصية الجليلة ذكرت بعض الشيء مما يستحقه الشيخ الحكمي، حيث ذكرت طرفاً من حياته وعلمه وعن منهجه في الدعوة والتعليم والإرشاد ذلك لأن الكتابة عن مثل هذه الشخصية تحتاج إلى جهد ووقت حتى يتمكن الباحث من استيفاء الكتابة لبيان الحقيقة وذلك للأمانة والتاريخ، ولكن جهد المقلّ على قدر الجهد فإن أصبت فمن الله وحده، وما هو إلاَّ جهد بشري يخطىء ويصيب ولا نقول إلاَّ كما قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ في طريق الهجرتين: «فيا أيها القارىء له والناظر فيه، هذه بضاعة صاحبه المزجاة مسوقة إليك، لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، ولك ثمرته وعليه عائدته، فإن عدم منك حمداً وشكراً فلا يعدم منك عذراً، وإن أبيت إلاَّ الملام فبابه مفتوح» ولا يزال البحث مطروحاً أمام الأخوة الأفاضل حتى يخرجوه في صورة أزكى من هذه الإشارات السريعة وأناشد كل قارىء أو باحث يجد فيه خطأً و زللاً تنبيهي إلى ذلك فالدين النصيحة وله مني الدعاء بظهر الغيب، وصلَّى الله وسلمَ

على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاَّ أنت أستغفرك وأتوب إليك.

والحمد لله على كل حال.

• • •

فهرس المصادر والمراجع

١ ــ القرآن الكريم.

٢ ــ أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤هـ ــ ٢٤١هـ).

* **المسند**. ط ٤، المكتب الإسلامي ــ بيروت.

٣ ــ أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة (٦٦١هـ ــ ٧٢٨هـ).

* **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**. الطبعة الأولى ــ ١٤٠٤هـ، تحقيق د. ناصر العقل.

* **العبودية**. الطبعة الخامسة ــ المكتب الإسلامي.

٤ ــ البهي الخولي.

* **تذكرة الدعاة**. مكتبة الفلاح، الطبعة السادسة.

٥ ــ حافظ بن أحمد الحكمي (١٣٤٢ ــ ١٣٧٧هـ):

* **أعلام السنّة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة**. الطبعة الثالثة ــ ١٣٩٩هـ.

* **اللؤلؤ المكنون في مصطلح الحديث**. مطابع البلاد السعودية، الطبعة الأولى.

* **السبل السوية لفقه السنن المروية**. الطبعة الثالثة ــ ١٣٩٩هـ، بمكة المكرمة.

* **الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة**. مطابع البلاد السعودية ــ ١٣٧٣هـ، الطبعة الأولى، بمكة المكرمة.

* **المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية**. مطابع البلاد السعودية، الطبعة الأولى، بمكة المكرمة ــ ١٣٧٣هـ.
* **دليل أرباب الفلاح لتحقيق في الاصطلاح**. مطابع البلاد السعودية ــ ١٣٧٤هـ.
* **رسالة النور الفائض من شمس الوحي في علم الفرائض**. مطابع البلاد العربية ــ ١٣٧٣هـ.
* **سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ**. المطبعة السلفية، الطبعة الثالثة ــ ١٤٠٤هـ.
* **نيل السول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ**. مطابع البلاد السعودية، الطبعة الأولى ــ بمكة المكرمة.
* **نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والشمّة والدخان**. الطبعة الثالثة ــ ١٣٩٩هـ.

من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

* **وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول**. مطابع البلاد السعودية.
* **لامية المنسوخ**. مطابع البلاد السعودية، مكة المكرمة.
* **معارج القبول**. المطبعة السلفية، الطبعة الثالثة ــ ١٤٠٤هـ.
* **أمالي في السيرة النبوية ــ مخطوط**.
* **شرح الورقات ــ مخطوط**.
* **مجموعة خطب ــ مخطوط**.
* **مفتاح دار السلام ــ مخطوط**.
* **همزية الإصلاح ــ مخطوط**.

٦ ــ خير الدين الزركلي.

* **الأعلام**. قاموس تراجم، الطبعة السادسة. دار العلم للملايين ــ بيروت.

٧ ــ د. زاهر بن عوّاض الألمعي.

* **ديوان الألمعيات**. الطبعة الثالثة.

٨ ــ عاتق البلادي.

* **معجم قبائل الحجاز**. دار مكة.

٩ ــ عبد الله بن عبد الرحمن البسام

* **علماء نجد خلال ستة قرون**. الطبعة الأولى، مطبعة النهضة ــ مكة المكرمة.

١٠ ــ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم... البخاري (٢٥٦هـ).

* **جامع الصحيح للبخاري**. المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

١١ ــ مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (٢٦١هـ).

* **صحيح مسلم**. دار الكتب العلمية ــ بيروت.

١٢ ــ محمد بن أحمد العقيلي.

* **تاريخ المخلاف السليماني**. مطابع دار الكتاب ــ الرياض.

* **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية**. الطبعة الثانية.

١٣ ــ محمد المجذوب.

* **علماء ومفكرون عرفتهم**. الطبعة الأولى ــ دار النفائس.

١٤ ــ محمد بن أبـي بكر عبد القادر الرازي (٦٦٦هـ).

* **مختار الصحاح**. دار الفكر.

١٥ ــ محمد بن عثمان القاضي.

* **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**. الطبعة الثانية، مطبعة الحلبـي.

١٦ ــ محمد خليل هرّاس.

* **ابن تيمية السلفي نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلّهيات**. الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ــ بيروت.

١٧ ــ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٦٣٠ ــ ٧١١هـ).
* **لسان العرب**. الطبعة الأولى، دار صادر ــ بيروت.

١٨ ــ محمد فؤاد عبد الباقي.
* **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. مؤسسة جمال للنشر ــ بيروت.

١٩ ــ ونسنك وآخرون.
* **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**. مكتبة بريل في لندن ١٩٣٦م.

٢٠ ــ الرسائل الجامعية. د. عبد الله بن محمد أبو داهش.
* **أثر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جنوبي الجزيرة العربية**.
دكتوراه، جامعة الإمام، كلية اللغة العربية ــ ١٤٠٤هـ.

٢١ ــ المجلات.
* **مجلة العرب**. تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ــ بالرياض. الجزء رقم ٧، ٨ سنة ١٣٩٤هـ، سنة ١٣٩٥هـ.
* **مجلة اليمامة**. تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية. عدد: ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣ سنة ١٣٩٣هـ.
* **مجلة المنهل**. مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة.
تأسيس عبد القدوس الأنصاري في جدة ــ سنة ١٣٥٥هـ.
الأعداد رقم ١، مجلد ١٩، عدد ٥، مجلد ٨، عدد ٨، مجلد ٣٠.
* **جريدة الجزيرة**. الجمعة ٤ من ذي القعدة عام ١٤٠٦هـ، عدد ٥٠٣٤.
تصدر عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.

• • •

فهرس الموضوعات

• • •